

# أبى آدم

قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة

• العنوان على الانترنت  
WWW. akhbarelyom. org/ketab  
• البريد الإلكتروني  
akhbar el yom@akhbarelyom. org

دار أخبار اليوم  
قطاع الثقافة  
جمهورية مصر العربية  
٦ شارع الصحافة القاهرة  
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

الدكتور عبد الصبور شاهين

## مقدمة

قديمًا .. قديمًا .. قبل أن يخلق الزمان .. كان الله ولا شيء معه .

ثم أراد الله أن يخلق الخلق ، أو الكون ، فقال : كن ، فكان ماأراده الله زمانًا ، ومكانًا .. سموات وأرضين ، ومجرات ، ونجومًا وكواكب ، ودواب.. وما لا نعلم من الموجودات التي أنجزتها القدرة الكُنيَّة .

ثم أراد الله أن يوجد المخلوق العاقل المؤهل للمعرفة .. فكان الإنسان .. ولعل هذا هو المعنى بما جاء في الحديث القدسي الذي حفظناه في صغرنَا ، والذي يقول الله عز وجل فيه عن نفسه : ( كنت كنزًا مخفيًا ، فاردت أن أعرف فخلقت الخلق ، فبى عرفوني )<sup>(١)</sup> - أو كما قال ..

فأما الزمان والمكان فقد خلقا لتحديد مامية الأشياء ، وقد جعلهما الخالق سبحانه على مرتبتين : غيب ، وشهادة ، وإذا كان عالمُ الغيب قد احتجب وراء أستار الزمان والمكان ، لا يعلم حقائقه إلا موجدُه سبحانه - فإن عالم الشهادة يحمل في تفاصيله ملامح ما مضى من الغيب النسبي ، وهو أيضًا دال على وجود الخالق .. الغيب المطلق .. أو غيب الغيب ، وهكذا نرى حقيقة وجود الله في تصاريف قدرته : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا .. ﴾ [الروم] .. أى : كأننا - وقد احتجب عنا ذو الجلال - نستطيع أن نستجلي وجوده في النظر إلى آثار رحمته .. يكفينَا بعض آثار هذه الرحمة لنوقن بوجوده سبحانه ، أما الرحمة فلا

(١) قصد المؤلف بإيراد هذه المقولة الدالة على قدم الخالق وحدائق الخلق ، وهو معنى ظاهر من النص



تصميم الغلاف والصفحات الداخلية

عبد الكريم محمود

سبيل إلى النظر إليها ، لأنها صفة من صفات الله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ، ولعل ذلك بعض معنى الحديث : ( جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ، وأنزل إلى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه ) .

إن كل ما في كيان الإنسان ، وواقعه ، وزمانه ، ومكانه هو من آثار رحمة الله ، وحسب الإنسان أن ينظر في نفسه ليستيقن بوجود خالقه ، وليتبين آثار رحمته في خلقه وتسويته وتزويده بالنفخة العلوية التي صار بها متميزاً عن سائر المخلوقات المشاركة في الحياة الأرضية .

ونحن نخطئ أحياناً حين ننظر إلى الحياة فلا نرى منها غير ذواتنا .. نحن الاناسي ، فأما الطير ، والحيوان والحشر ، وما ضمه عالم البحار - فكل ذلك مجرد كائنات متحركة ، تظل تتحرك حتى يخدمها الإنسان لينتفع بها ، أو تلقى مصيرها المحتوم فتبديد ، بمشهد من غطسة الإنسان الذي يتربع على عرش السيادة علي غيره من الكائنات .. ﴿ وَسَخَّر لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٣) [الجاثية]

إن القرآن لا يشجع النظرة المستعلية التي تحبس إدراك الإنسان داخل جدران ذاته ، وهو يفتح أمام النظر الإنساني نافذة رحبة لرؤية غيره بقدر ما يرى نفسه ، والله يقول : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (٢٨) [الأنعام] ، فكل ما خلق الله من الدواب .. كجبر أو صغر ، هو من الامم التي خلقها الله ، وألزمها بسنن حياتها ومصيرها .. بل وعلمها ما هي بحاجة إليه في بقائها واستمرارها ، وعلاقاتها بالأمم الأخرى من الدواب ، وجاءت في ذلك إشارة القرآن : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ

لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤١) [النور] ، وهي إشارة تثبت لعوالم الطير والحشر ، والحيوان .. وعلى وجه الإجمال : كل من له حياة .. تثبت لها العلم والصلاة والتسبيح ، وهو أمر أكدته الآية الثالثة : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤١) [الإسراء] .

ومن المعلوم أن أمم الحيوان والطير قد سبقت في وجودها وجود الإنسان على الأرض ، حسبك من ذلك إشارة القرآن إلى الغراب الذي علم ابن آدم القتال كيف يوارى سواة أخيه ، ولكن وجود هذه الكائنات لم يشغل بال الإنسان ، لأنه لا يمثل في نظره مشكلة ..

فأما وجود الخليقة البشرية فهو المشكلة الكبرى التي تواردت عليها الرؤى ، وتواترت الاجتهادات .. بدءاً من الرؤية الإسرائيلية ، وقد كانت ذات حظ عظيم من حيث انتشارها ، وتفردتها على الساحة الفكرية ، حتى وجدنا أكثر المفسرين للقرآن يرددون ما ذكرته الإسرائيليات ترديداً حرفياً .. دون أدنى محاولة تعرض مضمونها على العقل ، وتغربل ما حفلت به من خرافات وأساطير .

والى القارئ جوهر القصة كما تلقيناها عن القدماء ، وكما رواها صاحب قصص الانبياء المسمى بالعرائس ( ص ١٦ - ١٧ - ط . شقرون ) :

( قال المفسرون بالفاظ مختلفة ، ومعان متفقة : إن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الأرض : إني خالق منك خلقاً ، منهم من يطيعني ، ومنهم من يعصيني ، فمن أطاعني منهم أدخلته



إن كل ذلك صار يمثل أمام العقل الحديث مشكلة خطيرة ، نتيجة التصادم بين معطيات القصة القديمة ، ومعطيات العصر الحديث ، وهو ما ظل يخامر عقل طيلة ربع قرن من الزمان ، أو يزيد ، فى محاولة لفهم النصوص التى جاءت فى القرآن الكريم ، وهى قطعية .. تروى وقائع قصة الخلق ، وأيضاً للتوفيق بين التصوير القرآنى ، والاتجاه العلمى فى تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض ، ولأحرج علينا فى هذا مادنا نرعى قداسة النصوص المنزلة ، ومادنا لا نخالف معلوماً من الدين بالضرورة ، وما دمنا نقدم رؤية عقلية تحترم المنطق ، وتستنتج اللغة من جديد ، وتدعم إيمان المؤمنين بما ينطوى عليه كتاب الله من أسرار ، قد تكون خفيت عن بصائر ذوى التمييز ، ثم أذن الله سبحانه لبعض السر أن ينكشف ، وللرؤية أن تنجلي ، وهو مانوؤل أن نكون قد حققناه فى هذا الكتاب .

ليست هذه هى المحاولة الوحيدة التى تناولت قصة الخلق ، فقد شغلت القصة عقول الفلاسفة والعلماء فى عصور مختلفة ، وبيئات مختلفة كذلك ، ويكفى أن نشير هنا إلى رؤية ابن طفيل قديماً فى قصته عن ( حى بن يقظان ) كما نذكر بنظرية ( تشارلز داروين ) حديثاً عن نشأة الأنواع .

وأول ما اعترض ابن طفيل من المشكلات : ( مشكلة خلق الإنسان ، أو كيف ظهر أول إنسان على وجه الأرض ) .. يقول الأستاذ أحمد أمين فى ( حى بن يقظان - ص ٢٣ - ط . دار المعارف ) عن ابن طفيل : إنه لم يكن يعرف بالضرورة رأى داروين الذى يرى أن أنواع المخلوقات متصل بعضها ببعض ، وأن ليس الإنسان إلا حلقة من هذه السلسلة .. سبقته حلقات أخرى ، إلى أن انتهت بالإنسان .

أما عند ابن طفيل فرأى أن كل منهما يمكن أن يكون .. الأول : أنه نشأ

فى جزيرة من جزر الهند ، تحت خط الاستواء ، تولد فيها الإنسان من غير أم ولا أب ، لأن تلك الجزيرة أعدل بقاع الأرض هواءً وأتمها ، لشروق النور الأعلى عليها استعداداً ، فتأثرت هذه الجزيرة بأشعة الشمس ، وتخمرت الطينة الصالحة على مر السنين والأعوام ، وامتزجت القوى ، وتعددت وتكاثفت . وهذا ماذهب إليه بعض الفلاسفة من جواز التولد الذاتى الطبيعى . ويرى ابن طفيل رأياً آخر : أن حى بن يقظان لم يتولد من غير أب ولا أم ، وإنما ولد من أب وأم ، وكانت أمه هى أخت الملك ، خافت من الملك فقذفته فى اليم ، وجرفه المد إلى جزيرة أخرى ، حيث التقطته ظلية كانت فقدت ابنها ، فحنّت عليه ، وألقت حلماتها ، وأرضعته لبناً سائغاً حتى ترعرع . فهذان الرأيان يمثلان رأى الفلاسفة القدماء ، فبعضهم يرى إمكان التولد الذاتى إذا اعتدلت الطبيعة ، وتم الاستعداد من تخمر ونحوه ، وبعضهم يرى أن الإنسان لا يمكن أن يتولد إلا من إنسان ) .

ويستطرد الأستاذ أحمد أمين استكمال رحلة ( حى بن يقظان ) فيقول : ( إنه حنا على الظبية ، لأنها أرضعته لبنها ، وعطف عليها كما يعطف على أمه . وما زال مع الظباء على هذه الحال ، يحكى نغماتها بصوته ، ويحكى ما يسمع من أصوات الطير ، وأنواع سائر الحيوان .. يحاكيها فى الاستئلاف ، والاستدعاء ، والاستدفاع .

ولما قلدها فى هذه الأصوات المختلفة باختلاف هذه الأنواع ألفته وألفها .. )

وبذلك تعلم الإنسان من تقليد الحيوانات والطيور .. إلخ .

ومن الواضح أن ابن طفيل في رأيه الأول استخرج الإنسان من الطين المتخمر ، وهو ما ذكره القرآن في خلق البشر : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر] ، واستولده في تصوره الثاني من أب وأم على ماسنرى في وجود الإنسان ، وهو ما لا يمكن أن يتصور في وجود الخلق الأول ، وافترض أن أصل اللغة هو تقليد الإنسان لما حوله من أصوات طبيعية أو حيوانية أو طيرية .. وهو أمر ليس بعيداً عما يقول به الآن كثيرون من علماء اللغة ، ولا جديد لابن طفيل إلا في صوغ قصة الظبية ، وتطور علاقتها بالطفل (حَيٍّ) !! وهو مانجده لدى الغربيين في قصتهم عن ( روبنسون كروزو ) الذى ألقى به الأمواج إلى جزيرة مهجورة ، وهناك نشأ وتعامل مع الكائنات تبعاً لحاجاته وضروراته ، وليس روبنسون هذا سوى حى بن يقظان .

\*\*\*

نسوق ما نقلناه عن الأستاذ أحمد أمين على أنه مجرد خيال يعبر عن حيرة الإنسان تجاه مشكلة الخلق ، لا على أنه اعتقاد لدى المرحوم الأستاذ أحمد أمين أو غيره ، والكتاب الذى بين يدي القارىء يؤرخ بمثل هذه النقول لتلك الحيرة الفكرية التى لم تخرج عن معطيات الإسرائيليات .

لقد كان جُلُّ اعتمادنا فى عرض قصة الخليقة على استنتاج آيات القرآن ، باعتبارها المصدر الأول والأوثق الذى ينبغى اعتماده فى هذا المجال ، واستعنا بقليل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما ساعدنا على جلاء المعنى القرآنى ، وكان التزامنا دائماً بإقرار جملة من المبادئ الأساسية التى تقوم عليها القصة ، وهى :

الأرضية : فحياة آدم ، وموته ، وما وقع بينهما .. كل ذلك من وقائع الأرض وأحداثها .. تسليماً بحقيقة قررها القرآن فى هذا الصدد فى آيات كثيرة ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [نوح] ، وقوله : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه]

الترابية : فقد خلق الله الخلق من التراب الأرضى ، وعناصره المعروف .. لا فرق فى ذلك بين مؤمن وكافر ، ورجل وامرأة ، وهو ما قررته آيات كثيرة من مثل قوله : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الحج] ، وقوله : ﴿ أَكْفَرْتُ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الكهف] ، وقوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) [آل عمران] .

البشرية : وهى حقيقة بدأ بها وجود الإنسان ، كما تقرر فى خطاب الله سبحانه للملائكة .. قال : ﴿ إِنِّى خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ [ص] ، وقد كان البشر فى نظرنا نقطة البدء فى وجود الإنسان الذى خلق من سلالة من طين .

الربانية : بما ميّز الله به الإنسان من النفخ فيه من روحه .. ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى ﴾ [الحجر] ، وبما طلب منه أن يحقق الربانية بإخلاص العبودية لوجهه سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات] ، و ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ .. ﴾ [آل عمران] ، ولهذه الربانية أبعاد فى حياة الإنسان لا نهاية لها .

وهذا هو ما يلخص حقيقة الإنسان وتعريفه بالاعتبار الوجودى

(١) سيأتى بيان لمضمون هذه الآية عند الحديث عن ( آدم أبو الإنسان ) .



والعلوى فيهبو : ( مخلوق أرضى ترابى بشرى ربانى ) ، أما كونه  
( حيواناً ناطقاً )<sup>(١)</sup> فذلك هو التعريف الذى وضعه المنطقة باعتباره  
ضمن حركة الحياة متميزاً عن غيره من المتحركات الأرضية .

فإذا كان الذين فكروا فى هذه القصة متفقين على هذه المبادئ  
الأساسية ؛ فإن اختلافهم لن يعدو أحياناً بعض التفاصيل التى لا يضر  
مثلاً فى تصور الإطار العام للقصة ، وإن كانت هناك تفاصيل أخرى لم  
يتطرق إلى مناقشتها السابقون .. تفرد هذا العمل بمناقشتها ، واستخراج  
نتائج حاسمة منها .. أرجو أن يرضاها القارئ الذى يتتبع خيوطها .

\*\*\*

وهنا قصة لا بد من تسجيلها ، فقد تفضل الصديق الكريم الأستاذ  
الدكتور محمد هيثم الخياط - عضو مجمع اللغة العربية فى الوطن العربى  
- بإهدائي نسخة مصورة من كتاب بعنوان ( آدم عليه الصلاة والسلام )  
من تأليف الأستاذ بشير التركى .. أحد علماء تونس ، وكان الدكتور هيثم  
قد حضر الدرس الحسنى الذى ألقيته بين يدي جلاله الملك الحسن الثانى  
فى رمضان ١٤١٧ هـ عن ( رؤية فى قصة الخليقة ) ، وتذكر أنه رأى  
قبل ذلك كتاباً فى الموضوع فى تونس لأحد المفكرين المجتهدين ، فطلبه  
 فلم يجده فى المكتبات ، ولكنه عثر على نسخة منه عند أحد أصدقائه ،  
فصور النسخة ، وتفضل بإرسالها إلى - جزاه الله كل خير - فقد شعرت  
عند تسلمى رسالة الصديق أن العلم رحم بين أهله ، وهو - أكرمه الله - قد

(١) لم يعجب هذا التعريف للإنسان بأنه حيوان ناطق بعض ( الحيوانات الناطقة ) ، ورأى أن ذلك  
خطأ وقع فيه الأئمة السابقون !

وصل بذلك تلك الرخيم ، وأهدى إلى قدر من المعرفة كنت بحاجة إلى  
مطالعتها .

غير أنى لم أجد مناسبة لإقحام آراء الأستاذ التركى فى معالجتى  
للجانب العلمى من المشكلة ، فقد كنت انتهيت فعلاً من رقتها على  
الكمبيوتر ، ورأيت أن أقدم فى هذه المقدمة خلاصة لما جاء عنده فى هذا  
الصدد .. وغاءً بالواجب العلمى ، وعرفاناً بفضل الدكتور هيثم الخياط ،  
والى القارئ موجزاً لما جاء فى ذلك الكتاب :

لقد ربط المؤلف معالجته لقصة آدم برأى له فى بلدة ( المهديّة ) ، وهى  
مدينة على الشاطئ الشرقى التونسى ، وهى مركز سهل أرضى شاسع  
جداً ، فعمق البحر فى شرقها لا يبلغ مائة متر ، على بعد مائة وخمسين  
كيلو متراً ، وفى غربها لا يبلغ ارتفاع الأرض مائتى متر على مسافة مائة  
كيلومتر ، وقد ذكر المؤلف وصفاً تفصيلياً للمهديّة يرشحها لتكون منشأ  
الحياة البشرية منذ ملايين السنين ( ص ١٢ ) ، ثم ذكر فى نفس  
الصفحة أنه ( بعد أن انقرض البشر خلق الله آدم فى الجنة ، ثم أنزله على  
الأرض يحمل السبع المثاني ، وهو الرصيد الوراثى المادى ، وهو المقصود  
من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (٨٧)  
[الحجر] .

والذى نلاحظه هنا أنه فصل بين آدم والبشر ، فوجود آدم كان بعد  
انقراض البشر ، ولا ملاحظة لنا على ارتباط آدم بالسبع المثاني ، فلمؤلف  
رأيه الذى يؤمن به .

وذكر فى ص ٦٤ : أهم الموجات البشرية ، وهى أربع :





## مقدمة الطبعة الثانية

حين صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ( أبى آدم ) أحدثت من الدوى ما يحدثه سقوط صخرة ضخمة فى بركة آسنة ، وانبعث من قلب البركة - أو المجتمع - أناس يتصدون للكتاب ، ولؤلفه ، فطائفتان أن بوسعهم أن يخفوا صوته ، ويخفوا أثره ، بالتشويه والتجريح ، وعلم الله أنهم لم يكونوا يملكون فكرا قادرا على استيعاب مضمون الكتاب ، بل لقد يصدق فى وصفهم ما ذكره المرحوم الكاتب الإسلامى مصطفى صادق الرافعى فى وصف بعض خصومه ، بأنه « يرى السماء الصافية فيظن أنها قبة من الزجاج ، وينظر إلى النجمة البادية فيرى أنها بيضة من بيض الدجاج » ، هكذا سمعنا خلال تلك الفترة جمعة ، ولم نر طحنا ، وقد قذف وقع الصخرة فى البركة بعضهم إلى ساحات القضاء فى أربع زخات متواليات ، تولى كبرها رجل قانون ، ورجل تدين : ( قضيتان فى المحكمة الابتدائية ، وآخران أمام الاستئناف العادى والعالى ، فلم يلق الرجلان فى قضاياهما سوى أحكام الرفض ، وكان سندنا المهم فى تلك المواجهة الشرسة - ذات الأهداف الخفية - تقرير مستنير أصدره مجمع البحوث الإسلامية ( وهو منشور أيضا فى ملحق الكتاب ) ، يقرر فيه المجمع أن الكتاب لا يحتوى على ما يخالف القرآن الكريم أو السنة النبوية ، ولا ينكر معلوما من الدين بالضرورة ، أو ثابتا من ثوابت العقيدة ، وإنما هو اجتihad توفرت شروطه فى مؤلف الكتاب ، والمجمع قد يختلف معه فى بعض النتائج التى توصل إليها . « أو كما قال » .

ف ﴿ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ (١٠٨)

[يونس]

و ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ (١٥) يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (١٦) [المائدة] صدق الله العظيم .

د . عبد الصبور شاهين

٤ رمضان ١٤١٨ هـ

٢ من يناير ١٩٩٨ م

لقد حفظت الأحكام القضائية الصادرة بشأن الكتاب - للعلم كرامته ، وللاجتهاد حرمة ، وللإسلام قدسيته ، وعادت الكائنات التي انبعثت من قلب البركة الأسنة إلى قاعها في انتظار صخرة أخرى .

أما الكتاب فقد كان صخرة أردت بها أن أدق رأس الأفعى الإسرائيلية اللابدة في الثقافة الإسلامية القديمة ، ممثلة فيما سمي بالإسرائيليات ، وهي لا تعدو أن تكون أساطير خرافية تسلفت إلى الفكر الإسلامي ، وإلى عقل الإنسان المسلم ، فاعتمدها أئمة من أهل التفسير ، ومن خلال تلك التفاسير سكنت في منطقة المسلمات من العقل المسلم ، وهي في الواقع أفعى إسرائيلية اعتنقها كثير من الرجال ، ممن لم يعملوا عقولهم في تحليل نصوص القرآن ، وممن لم يشعروا بالصدمة حين اتضحت من الأرقام المسافة الزمنية الهائلة بين معطيات الخرافة ، وتقديرات العلم لأمد ما قبل التاريخ .. وأبعاد الحياة البشرية .. لقد خنقت الأفعى أفهامهم حين طوقت أعناقهم .

وقد يلاحظ في ضوء الأرقام اختلاف العلماء في تقديرها ، وهو اختلاف يعنى أن الأزمنة السابقة التي بدأت خلالها أحداث الخلق ، سواء في ذلك خلق الأرض ، أو خلق الحياة بأنواعها عليها - يستحيل تقديرها على وجه التحديد واليقين ، وإنما تستخدم الأرقام للتعبير عن المدى الهائل الذي يعجز الإنسان عن الإحاطة به ، أو إدراك مداه .. فدالته في كل حال ظانية !!

إن هناك علماء مفتونين بالأرقام ، يطلقونها على سبيل التحديد ، فيقولون منها ( مثلاً ) إن الأرض خلقت منذ كذا .. لا منذ كذا ، وبلغ الأمر ببعضهم أن وصف السابقين عليه بأنهم جهال ، ومزيفون وبأن تقديره

هو الأدق !! .. ويحار المرء في مناقشة مثل هذا الموقف الذي لا يحتوى دليلاً واحداً على صدق مضمونه ، ولكنها فتنة الأرقام الجيولوجية ، والواقع أن للمسألة وجهين تستخدم بهما :

الوجه الأول : حين تستخدم الأرقام في مجال الدلالة الجيولوجية أو الأنثروبولوجية ، فاختلاف الأرقام هنا ذو دلالة على مفهوم محدد تقريباً بأنه ( قبل مرحلة كذا أو بعد تلك المرحلة ) . واختلاف تقديرات العلماء هنا ، مع كونها تقريبية ، ذو قيمة علمية تؤثر في النتائج الواقعية .

والثاني : وهو ما نحن بصدده - لا يقصد منه تحديد زمن معين ، بل يراد به إفادة مطلق البعد في الزمان الأزلي ، وحينئذ لا يهم أن يقال : حدث هذا ( مثلاً ) منذ مائة مليون سنة ، أو مائتي مليون ، أو مليار ، لأن المراد هو إفادة البعد الزماني المطلق ، ولن يقصد به أن شيئاً ما خلق قبل آخر أو بعده . فعلم ذلك وغيره عند الله وحده .

والوجه الأول خاص بالمؤلفات المتخصصة في البحث عن أمد الكون وأبعاده واختلاف تقديراتها وهو وارد بناء على اختلاف منطلقاتها البحثية .

أما الوجه الثاني فهو يفيد فائدة عامة فقط ، وليس يُطلب من الباحث تتبع اختلافات العلماء في هذا الصدد أو استخدامها لاستخراج نتيجة تاريخية أو أدبية ، فشتان ما بين المجالين ، والخلط بينهما لا يعبر عن ذكاء ، بل عن غباء .

ولابد أن نلتفت أمامنا الآن ، فنحن في مواجهة غارة إسرائيلية تحاول استخدام كل الوسائل لتخريب العقل المسلم المعاصر ، وهي لا تكلف عن

ترديد الأساطير ، في محاولة لزعزعة يقيننا بأنفسنا ، ويكفى أن يقف رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق مناحم بيجين - أمام الأهرامات الشامخة ، ليردد بصوت عال مزاعمه الإسرائيلية ، بأن أجداده من بني إسرائيل هم الذين بنوا هذه الآثار الخالدة ، وهي عملية اغتصاب فاجرة ، يريد بها تجريد الأجيال المصرية من كل ميزة أو فضيلة ، هذا على الرغم من أن مناحم بيجين ، وكل من تجمعوا في فلسطين تحت شعار الصهيونية ، لا يملكون دليلاً واحداً على ما يزعمونه إنجازاً لبني إسرائيل في مصر ، بل وأكثر من هذا لا يملكون دليلاً واحداً على اتصال نسبهم بإسرائيل ، أو بني إسرائيل ، فهم مجرد للمة تناثرت في العالم قبل عشرات القرون ، وتجمعت في شكل مجموعات من الشذاذ ، لتحقيق خطة استعمارية ، هي ضرب الإسلام بواسطة هذه الجيوش المرتزقة .

والعجيب أنهم يسطون على التراث الإسلامي ، ليؤلفوا ملحمة إسرائيلية تتكامل مع العهد القديم ، ليبنوا لأنفسهم وجوداً ثقافياً مؤثراً في العقل المسلم وتاريخه ، وهذا هو شأن الغارة الإسرائيلية المستوطنة الآن في فلسطين ، تحاول بما تثير من غبار الافتراءات والأكاذيب والإسرائيليات ، أن تلهينا عن مرارة واقعنا ، الذي ينبغي أن نحشد لمقاومته بكل ما نملك من قوة وعزم وإصرار ، وأن نرفض كل دعاوى السلام الزائفة ، التي ليست سوى وسائل يضحكون بها علينا ، وقد تبين لنا أن السلام الذي تعنيه إسرائيل ، ومن وراءها من أمريكان وأوروبيين ، هو عبارة عن هدنة بين حربيين ، أولاهما سبقت ، والثانية آتية لا ريب فيها .

بل إننا نرى لزماً علينا أن نجاهد تلك الغارة الإسرائيلية على قلب عالمنا

العربي - في فلسطين ، نجاهدها مادياً وأدبياً ، نجاهدها استيطاناً ، واحتلالاً وتأثيراً فكرياً وإعلامياً ، وسياسياً واقتصادياً .. لا بد أن نقضى على هؤلاء الغزاة قبل أن يفضوا علينا .. فقد جاءوا إلى بلادنا قاتلين أو مقتولين وسنكون نحن قاتليهم ، وسيكونون هم المقتولين - بمشيئة الله ، حتى نسوقهم إلى حصير جهنم .

لقد ابتلى العقل المسلم المعاصر من قبل مدرستين لهما وجود على الساحة ، ولهما ضجيج مزعج ، وقد آن أوان إخماد هذا الضجيج :

أما أولاهما فهي المدرسة الخرافية التي تتبنى الحكايات والإسرائيليات ، وأما الثانية فهي المدرسة الحرفية ، والتي تتشبه بالمأثور ، حتى ولو كان خرافياً . وهي المدرسة التي ترفع السيف في وجه أى اجتهاد ، بدعوى الخروج على قواعد اللعبة السلفية ، والسلفية براء من كل أشكال الأساطير والخرافات .

ولا مناص - إذا أردنا للإسلام أن يتبوأ مكانة في عالم الغد - أن يتم القضاء على هاتين المدرستين وآثارهما ، فهناك تحالف بين الحرفيين والخرافيين ، هو الذي يعوق حركة الاجتهاد الإسلامي المعاصر ، بإشاعة الخوف في نفوس أصحاب الرأي والاجتهاد . وكثيراً ما اختنقت آراء قيمة بإشاعة هذا الرعب مع أن الإسلام يشجع على الاجتهاد ، ويعد كل مجتهد بالأجر - ما دام لا يخالف ثابتاً من ثوابت العقيدة ، وما دام لا ينكر معلوماً من الدين بالضرورة . فلنجتهد . ولنذهب الخرافية والحرفية إلى حيث ألقى رحلها أم قشع .

وهذا هو الهدف الجوهرى من إصدار هذا الكتاب ..

## الباب الأول

ولقد حقق بصدوره نتيجة قيعة حين نشط بعض الكاتبين للرد عليه ،  
وكتبوا مقالات ، وهو أثر حميد من آثار الكتاب ، فلو لم يصدر لما كتبوا -  
فليحمدوا الله على نعمة ظهوره .

أما مؤلف هذا الكتاب فإنه يحمد ربه على كل ضراء وعلى كل سراء ،  
وقد مضت في حياتي أزمات كثيرة ، قد تتفوق في قساوتها على ما أثاره  
( أبى آدم ) ، ومع ذلك فقد مرت كل الأزمات - بحمد الله - وكأنها نسيمات  
القدر .. وبسمات الرضوان .

د. عبد الصبور شاهين

القصة بين العقل والنقل

## الفصل الأول

### القصة والإسرائيليات

قصة الخلق - كما أوردها القرآن الكريم - مليئة بالكثير من الأسرار الخفية ، والمعاني الظاهرة ، وقد تناولها المفسرون والمنصفون من زاوية أو أخرى ، وتشابهت محاولات القدماء ، حين أخذ بعضهم عن بعض ، وحين جاء العصر الحديث بمعطياته الكثيرة في مجالات علم الأرض (الجيولوجيا) والإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلوم الحياة ، والأحياء (البيولوجيا) وغيرها - تغيرت مفاهيم كثيرة ، وصار لزاماً على من يتصدى لكتابة شيء عن هذه القصة أن يأخذ في اعتباره ما كشف عنه العلم الحديث من حقائق نسبية ، وما قال به من نظريات ، حتى لا يبدو متخلفاً عن موكب المعرفة المعاصرة . وذلك على الرغم من أن الذين حاولوا الكتابة في هذه القصة حديثاً تعاملوا معها من منطلق المسلمات القديمة ، أو بمنطق اللامساس والتوفيق الحذر .

إن هذه القصة كما وردت في القرآن الكريم نحتل الكثير من التأويلات ، وهي حافلة بالإيماءات والإشارات ذات الدلالة التاريخية والزمنية ، ونحن هنا نستخدم المصطلح ( التاريخ ) بالمفهوم العام ، الذي يشمل كل ما مضى من الزمان ، محدداً كان أو غير محدد ، أى : التاريخ وما قبل التاريخ . منذ كان الزمان بأمر الله التكويني ( كن ) فكان ... ولا معقب ..



إن نظرة القدماء إلى القصة قد تأثرت بالتصور الإسرائيلي لها ، وهو الوارد في سفر التكوين ، حيث يختزل الزمان كله إلى أقل من ثلاثة آلاف سنة تستغرق عشرين جيلاً هم المسافة بين آدم وإبراهيم ، وقد انقسمت سلسلة النسب إلى مجموعتين :

الأولى : بين آدم ونوح ( وهي عشرة أجيال ) .

الثانية : بين نوح وإبراهيم ( وهي عشرة أجيال أيضاً ) .

مع ملاحظة أن سياق النص يوحى بأن الأجيال العشرة الأولى قد بادت بسبب الطوفان ، ثم بدأت الإنسانية جيلاتها الثانية من سلالة نوح ، الأب الثاني لها ، من خلال أولاده الثلاثة : سام وحام وياث ( ارجع إلى سفر التكوين - العهد القديم ) ، ومع ملاحظة أخرى هي : أن العمر الذي عاشه آدم - مثلاً - يصل في تقدير العهد القديم إلى حدود الجيل التاسع تقريباً ، أي : قبل نوح بجيل واحد .

لسنا هنا بصدد مناقشة معلومات العهد القديم ونقدها ، فهي ذات طابع أسطوري غالباً ، ولا دليل على خطئها أو صوابها ، سواء في الأسماء أو في الأرقام ، وإن كانت إلى الإحالة وعدم التصديق أقرب .

ولكن الملاحظة أن أصحاب السير قد اعتبروها من قبيل المسلمات ، فكرروها دون أدنى مناقشة ، أو حتى توقف ، وهذا هو ابن هشام في سيرته يذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، فيصل به إلى آدم عبر سلسلة العهد القديم ، فإذا بالنبي من الجيل الخمسين بعد آدم ، أي : إن المدة من آدم إلى محمد - ثم إلى زماننا هذا - لا تزيد على سبعة آلاف عام ، هي كل ما مضى من عمر البشرية ، وهو تقدير لا يتفق مع

التقديرات القائمة على الرؤية العلمية ، التي تقرب ولا تحدد .

وحسبنا أن ننظر في تعليق محقق السيرة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد على ما ذكره ابن هشام من نسب الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ( روى عن عروة بين الزبير أنه قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل ) ..

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : ( إنما تنتسب إلى عدنان ، وما فوق ذلك لا ندري ما هو ) ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال - لما بلغ عدنان : ( كذب النسابون ) مرتين أو ثلاثاً .

وقد كره مالك وجماعة من العلماء أن يرفع الرجل نسبه إلى آدم ، من قبل أن هذا كله من باب التخرص والظنون التي لا يمكن أن يوثق بها<sup>(١)</sup> .

ويلف النظر في هذا التعليق الرواية عن ابن عباس : ( أن بين عدنان وإسماعيل ثلاثين أباً لا يعرفون ) .. أي ثلاثين جيلاً ، تستغرق في المتوسط ثلاثة آلاف سنة على الأقل .

فإذا رجعنا إلى حساب التاريخ للمدة من إبراهيم حتى الآن وجدناها تقترب من أربعة آلاف سنة وهي مدة تختلف تماماً مع ظنون النسابين ، الأمر الذي يجعلنا لا نعول كثيراً على رواة الأنساب ، ولا على مصادرهم الكتابية .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١

## الفصل الثانى

### النظرة العلمية

أما النظرة العلمية إلى هذه المسألة فإنها تضعنا فى قلب تصوره ١٩١٠  
ت حسب أبعاده بمئات الألوف .. بل بمئات الملايين من السنين . وقد جاء فى  
موسوعة الثقافة العلمية ( صفحة ٤١٧-٤١٨ ) أسماء العلماء  
الجيولوجية ، وأمادها الزمنية ، وهى عصور مرت بكوكب الأرض ،  
وقُسمت إلى حقب ، بحسب معالمها السائدة - كما قررها العلماء .

#### حقبة الحياة العتيقة :

سنة	٧١,١٢٥,٠٠٠,٠٠٠	حقبة ما قبل الكامبرى
سنة	٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠	حقبة الكامبرى
سنة	٣٧٥,٠٠٠,٠٠٠	حقبة الأردوفيشى
سنة	٣٣٥,٠٠٠,٠٠٠	حقبة السيلورى
سنة	٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠	حقبة الديفونى
سنة	٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠	حقبة الكربونى
سنة	٢٠٥,٠٠٠,٠٠٠	حقبة البرمى

#### حقبة الحياة المتوسطة :

سنة	١٧٠,٠٠٠,٠٠٠	حقبة الطراياسى
-----	-------------	----------------

[illegible][illegible]

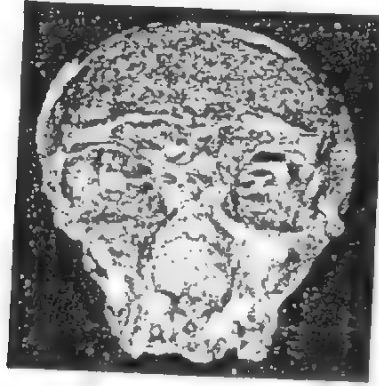
\_\_\_\_\_

وكل هذه الطرق تعتبر وجود الإنسان فيها فائضا ، ويمكن ان يتصور  
وجوده في شكل مجازي ( جام ) كالحيوان يستأجر اوراقا  
شبيهة من الاشجار المجتازة التي لا يحصى (١) .

حقیقۃ	۵۰۰۰۰۰	حقیقۃ
حقیقۃ	۷۰۰۰۰۰	حقیقۃ
حقیقۃ	۵۸۰۰۰۰	حقیقۃ
حقیقۃ	۸۳۰۰۰۰	حقیقۃ
حقیقۃ	۵۰۰۰۰۰	حقیقۃ
حقیقۃ	۷۰۰۰۰۰	حقیقۃ
حقیقۃ	۹۰۰۰۰۰	حقیقۃ
حقیقۃ	۱۲۵۰۰۰	حقیقۃ



بشر سابيان  
من مائة وثلاثين ألف سنة



بشر نياندرتال  
من مائة وعشرين ألف سنة

والأحصنة والثيران بكثرة ، مع شيء من الاختلاف عما ظهر في حقبة الباليوسين ، أى : منذ تسعين مليون سنة ، والحقبة التالية لها ، وهى ( الميوسين ) منذ خمسة وعشرين مليون سنة ، وهى الحقبة التى شهدت ظهور بعض أنواع من الطيور ، كالبيجج وبداية طائر البطريق ، وطيور الماء التى تشبه ( أبو قردان ) فى العصر الحديث وغيرها ، وانتشرت الخرافات ، والغزلان والزراف ، وبعض الكلاب والذئبة ، والنسائيس والقردة ، وبعض الحيوانات المفترسة كالنمور ذوات الناب .. بل إن العلماء السوفيت عثروا على سمكة ضخمة متحجرة فى باطن الأرض ، عند مدينة خاركوف ، حددوا عمرها بأنه حوالى ثلاثين مليون سنة ، وغرابة الكشف أيضاً أن قشر السمكة مازال محتفظاً ببريقه .. كشفوا عنها أثناء حفر نفق سكة حديد ، وتم نقلها إلى المتحف العلمى لجامعة خاركوف .

كل ذلك وغيره سبق ظهور الإنسان ، وقد وجدت بقاياها فى الصخور القديمة ، وقيعان البحار ، والكتبان الرملية ، ويقول مؤلفا ( صور من حياة ما قبل التاريخ ) - صفحة ١٤٨ :

( وقبل المليون سنة تقريباً ، وجدت بقايا لكائنات شبيهة بالإنسان مثل جنس ( أوسترالوبيثيكس ) ، والذى وجدت بقاياها فى أفريقيا ، وانتشر فى عصر البلايستوسين المتوسط عبر معظم قارات العالم القديم .

وبعد ذلك وجدت بقايا ما يعرف بإنسان بكين ، وإنسان جاوة ، وإنسان هيدلبرج ، وإنسان نياندرتال ، وإنسان روديسيا ، وإنسان سوانكومب ، ويختار بعض العلماء من بين هؤلاء الأناسى إنسان هيدلبرج باعتباره الحلقة الوسطى بين الإنسان الذى يتكلم والحيوانات التى تصيح ، أما الإنسان النياندرتالى فيظهر أنه كان ذا مبادئ فكرية من اللغة المفلوطة <sup>(١)</sup>

(١) اللغة - فنديس - تصدير هنرى برجسون



بشر بكين  
من اربعمئة الف سنة إلى خمسمئة ألف سنة



بشر كينيا  
مليون وتسعمئة ألف سنة

وكل هؤلاء الاناسى وجوه مختلفة لمخلوق واحد ، كان ينتقل من مرحلة إلى مرحلة فى تسوية الخالق له ، فكلما مضت مرحلة من التسوية تغيرت بعض أوصافه ، وأفردته الباحثون فى الجيولوجيا والانتروبولوجيا بتسمية ، وقد وجدت تلك البقايا بصورة ناقصة ونادرة ، مما يجعل معلوماتنا عن هذه المخلوقات الشبيهة بالإنسان بعيدة كل البعد عن الكمال

وأول كائن إنسى له المميزات التشريحية للإنسان المعاصر ، وله صفاته من الذكاء ، والقدرة على التعبير عن نفسه هو ( إنسان كرومانيون ) الذى وجدت بقاياه فى جنوب فرنسا ، فى كهوف ترك آثاره على جدرانها رسوماً لبعض الحيوانات التى اصطادها ، ويتضح منها أن هذا المخلوق تمتع بقدر من الذكاء يربطه بالإنسان الحالى .

وأقدم بقايا لإنسان كرومانيون ترجع إلى حوالى ثلاثين ، إلى خمسة وثلاثين ألف سنة مضت ، وهذه الفترة تعتبر من أقدم فترات التاريخ المسجل .

هذه النماذج التى عثر عليها من بقايا الإنسان على الأرض تمتد كما رأينا منذ ماقبل مليون سنة ، وهى تؤرخ لمسيرة هذا المخلوق حتى عهد قدره العلماء بخمسة وثلاثين ألف سنة .

وقد نشرت جريدة الوفد<sup>(١)</sup> فى ( ١٠ / ٦ / ١٩٩٦ ) أن الإنسان الأول عاش أيضاً فى جبل طارق فى عدة كهوف عثر عليها هناك ، وأن ذلك كان منذ ما يقرب من ثلاثين ألف سنة .

(١) قد نعتد بعض الصحف اليومية مرجعاً ننقل عنه بعض الاخبار حين لا يتوافر لدينا مؤلف معتمده فى توثيقها ، ومع ذلك فنحن نذكره فى إطار أنه خير ظنى الدلالة



ومع ذلك فقد نفاجا بوجود أحافير تدل على أن ظهور الإنسان كان أقدم من هذا التقدير ، فما زالت الأرض محتوية على شواهد دالة على بدء الخلق وكيفية ، ولن يبلغ الإنسان مبلغ الحقيقة إلا إذا داوم على البحث ، واستمر في السير تفتيشاً عن شواهدا وأدلتها ، وهو ما أمرت به الآيتان القرآنيان

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ .. ﴾ [العنكبوت]  
وقوله تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات]

وكل ما سجله العلم من مراحل الحياة على الأرض هو ولا شك من معطيات البحث والسير فيها ، فهي خطوات في الطريق الصحيحة ، تهدي الإنسان إلى أصله ومنشئه ، عبر تلك الآماد السحيقة .. لقد كانت تلك الآماد - ولا شك - مقدمات لخلق الإنسان .. ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين] . أي : إن خلق الإنسان كان إرادة سابقة أزلاً على وجود الأرض ذاتها ، قبل مليارات السنين ، ثم كانت الأرض ، وكان ما مر بها من عهود سحيقة يعجز العقل عن تصورها - هو التمهيد الإلهي الباهر لظهور السلالات البشرية ، الذي تضاربت الآراء في توقيته ، فليس من هذه العهود ما يعتبر حقيقة مطلقة .. بل هي جميعاً آراء نسبية ، تتفق في الحد العام بينها ، وتختلف في العهود والحقب . ولا سبيل حتى الآن إلى معرفة متى كانت بالضبط بداياتها ونهاياتها

واتسّر دليل على نسبية المعلومات المدونة في المراجع العلمية حول الإنسان ، وعصر ظهوره على الأرض ( قبل مليون سنة ) - ما أعلنه مؤخراً أحد العلماء الأنثروبولوجيين . من أن وجود الإنسان كان أسبق



بشر كرومانيون  
من ثلاثين ألف سنة

ما سلفاء نقرأ من موسوعة الثقافة العلمية ، وعن كتاب ( صور من حياة ما قبل التاريخ ) وهو خبر لم ندهش له ، ونحن نؤمن بنسبية الصدق في معطيات العلم الحديث ، وبخاصة في هذا المجال .

لقد نشرت جريدة الاهرام في عددها الصادر صباح الاربعاء ( ١٩٧٢/١١/٨ ) : ( أن البروفيسور ريتشارد ليكي أحد العلماء الانثروبولوجيا - علم الإنسان ) .. أعلن في كينيا أنه تم اكتشاف بقايا جمجمة يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف مليون عام ، وتعد أقدم أثر من نوعه للإنسان الأول .

وقال العالم : ( إن هذه الاكتشاف يمتد في قدمه مليوناً ونصف مليون عام عن أقدم أثر أمكن العثور عليه حتى الآن ، وقد تم اكتشاف عظام الجمجمة ، مع عظام لساق بشرية ترجع إلى نفس الحقبة من التاريخ ، في جبل ججري ، بصهراء تقع شرق بحيرة رودلف في كينيا ) .

وقال العالم : ( إن هذا الاثر يمكن أن يقلب النظريات القائمة بشأن تطور الإنسان عن أجداده فيما قبل التاريخ ، وكيف ؟ ومتى ؟ ) .

وقد قدم ريتشارد ليكي ، وهو مدير المتحف الوطني في كينيا - تقريراً عن اكتشافه إلى الجمعية الجغرافية الوطنية في واشنطن ، وقال : ( إن نظريات التطور الحالية - وعلى رأسها نظرية داروين - تفيد أن الإنسان تطور من مخلوق بدائي ، كانت له سمات بدنية شبيهة بسمات القرد ، وإن أقدم أثر للإنسان كمخلوق منتصب يسير على رجلين ، وله مخ كبير - يرجع إلى نحو مليون سنة ) .

هذا في حين أن الكشف الجديد يدل على أن المخلوق الإنساني المنتصب ذا الساقين لم يتطور عن المخلوق البدائي الذي يشبه القرد ، بل كان يعاصره منذ ~~أكثر من~~ مليونين ونصف مليون عام ، وأنه يمكن على هذا الاعتبار استبعاد المخلوق البدائي الأول على أساس أن الإنسان انحدر من سلالة .

وذكرت الجمعية الجغرافية في تطبيق لها على هذا الكلام : ( أن نظرية ليكي تقوم على أساس أن المخلوق البدائي الأول و اسمه العلمي (أوسترالوبثيكوس ) وكان أساساً من أكلة النباتات ، قد وصل إلى مرحلة تطورية مسدودة، بينما استطاع الإنسان الذي استخدم اللحم في غذائه ، وتمكن من صناعة الأدوات الحجرية - أن يبقى على قيد الحياة ) .

وأكد ليكي في تقريره : ( أنه أمكن إعادة بناء جمجمة من شظايا العظام التي عثر عليها ، وأنه بالرغم من أن هذه الجمجمة لا تشبه جماجم الجنس البشري المعروف حالياً ، إلا أنها تختلف كذلك عن جميع أشكال الجماجم التي عثر عليها للإنسان الأول ، وبذلك لا تتفق مع أى نظريات حالية عن تطور الإنسان ) .

وواضح إذن أن الفرق الزمني هائل بين هذا الرأي ، وما تقوله نظرية داروين . كما أن الفرق هائل أيضاً في جوهر التصور للإنسان الأول بين النظريتين ، فهو عند داروين يمشى على أربع منذ مليون سنة ، ثم انتصبت قامته ، وعند ليكي يمشى منتصب القامة منذ مليونين ونصف المليون من السنين ، وأنه كذلك منذ كان .

فإذا رجعنا إلى ما أورده المؤلف سيد أحمد الكيلاني في كتابه عن

(نظرية داروين بين التأييد والمعارضة - صفحة ٢١) حين قال : ( وقد ادّاع البروفيسور جوهانس هورذر - العالم الذرى فى سمنتبال بسويسرا - بياناً فى مارس ١٩٥٦ ) نجد أنه عارض نظرية داروين بشدة ، وقال : ( إنه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالة القرد ، وإن التجارب الواسعة التى أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة وهو يعيش منفرداً ، وبعيداً جداً ) .

وأضاف إلى ذلك : ( أن الهياكل التى درس عليها تؤكد نظريته ، وقد قدم البروفيسور المذكور للمتحف الطبيعى بمدينة بال قطعة من الفحم بداخلها قطعة من فك إنسان يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين سنة ، وهذا هو التاريخ الذى أمكن الحصول فيه على هياكل آدمية ) .

وبتاريخ ٢١ مارس ١٩٥٦ أعلن فى أمريكا أن الدكتور ( رويتر ) المشرف على الأبحاث بجامعة كولومبيا - قد أيد البروفيسور هورذر فى وجهة نظره ، واعتبرت نظرية داروين بذلك رأياً لا يستند إلى أى دليل علمى ، وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع ، استقلالاً تاماً ، فمنها الإنسان الذى يمشى على رجليه ، ومنها الدواب التى تمشى على أربع ، ومنها الزواحف التى تمشى على بطونها .

وإذا كان سياق الداروينية يقرر أن القردة خلقت هكذا مستقلة عن الأنواع الأخرى قبلها ، فما الذى يجعلها أصلاً لنوع الإنسان فى فرضية داروين ، على حين أن الأقرب إلى المنطق هو أن القدرة التى خلقت نوع القردة التى تمشى على أربع - قد خلقت نوعاً آخر يمشى منتصباً على رجلين ، وهو الإنسان ، وهى القدرة التى أوجبت ملايين الأنواع من المخلوقات المتحركة ، لكل نوع عالمه وقدراته ، وبدايته ونهايته ، فالكـ

صادر عن قدرة مضقة واحدة ، تماماً كما حدث القرآن عن وحدة الأصل ، واختلاف الشكل - فى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ ﴾ (٤٣) [النور]

نحن إذن أمام جملة من النظريات المشتجرة والمعارضة ، التى تركز كلها على تاريخ وجود الإنسان ، وأصل هذا المخلوق . وهى كلها تؤكد نسبية المعلومات التى تضمنتها ، ولكل واحدة منها أدلتها التى تستند إليها فى تقرير جوانب التصور الزمنية والخلقية ، ولا ريب أن فى كل منها شيئاً من الحقيقة ، وأشياء من الخيال تصب فى بحر الضلال ، حفاظاً على نسبية المعلومات والنظريات فى دلالتها على جوهر الحقيقة الذى يتراوح حتى الآن ما بين مليون سنة ، وعشرة ملايين من السنين .

ومن أواخر ما نشرته جريدة الاهرام فى هذا الشأن ، خلال شهر يونيو ١٩٩٦ ، ما تضمنه بحث علمى آخر فى بريطانيا - قد يكون دليلاً آخر لهدم نظرية داروين القائلة بأن الإنسان أصله قرد ، أو منحدر من إحدى سلالات القردة العليا ، تحدى العلماء البريطانيين الرأى العلمى السائد بأن الإنسان الأول كان يمشى معتمداً على يديه ورجليه ، مثل الشمبانزى .

وقال العلماء فى جامعة ليفربول البريطانية : ( إن الرأى الأرجح هو أن الإنسان الأول كان يسير منتصب القامة ، تماماً مثل الإنسان اليوم ، وأوضحوا أنه لو كان الإنسان القديم يسير منحنيًا - كما تصور ذلك بعض النظريات العلمية - فإنه لم يكن من الممكن أن يعتدل فى قامته ، ويسير كما هو الآن أبداً ) .



ونفى عن البيان أن كل الجهود العلمية حتى الآن تنصب على معارضة داروين فيما ذهب إليه ، وأن ما قدمناه لم يكن سوى بعض العيّنات التي جهد فيها العلماء ليدحضوا مذهب النشوء والارتقاء .. حتى إننا نستطيع أن نقول : إن نظرية داروين قد صارت لكثرة ما تعرضت له من نقد - مجرد مقولة هشة .. لا تعنى شيئاً في مجال البحث عن أصل الإنسان ، وإن قدمت الكثير في مجال ( البيولوجيا ) أو علم الأحياء .

وتبقى حقيقة واحدة ، نكرها دائماً ، هي نسبة التقديرات العلمية التي حاولت التأريخ لبداية وجود الإنسان على الأرض في أى شكل من أشكال الوجود .

لقد سقطت إذن فكرة ( التطور الخالق ) ، ونقول : ( فكرة ) ، ولا نقول : ( نظرية ) ، ورغم أن الناس قد فتنوا بهذا النظرية لعدة عقود من الزمن ... سقطت بكل ما ارتبط بها من أفكار أخرى ، وانتصرت حقيقة ( الخلق المستقل ) التي قررها الدين ، كما أكدها العلم ، فما كان الإنسان إلا بشراً منذ كان ، وما كان القرد إلا قرداً ، وما كانت السمكة إلا سمكة في عالمها المائي ، وكل ذلك لم يكن إلا طبقاً للمشيئة الإلهية المطلقة ، وإنجازاً للقدرة الكُنْية<sup>(١)</sup> .

وهنا يطرح سؤال ، ربما يبدو سابقاً لأوانه في سياق هذا البحث ، وهو : هل كان وجود هذه الخليقة البشرية إرادة إلهية وأمرأ إلهياً واحداً على الأرض ، أرادته القدرة الإلهية ؟ وتابعت في مراحلها المتطاولة ؟ أو كان خلقاً متعدداً متقاطراً على الساحة الأرضية عبر الوجود الزمني الهائل ؟

(١) نسبة نقول بها أخذاً من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٥١) [يس]

وكان آدم أحد هذه المراحل .

ذلكم هو ما سنحاول بيانه فيما يلي من الحديث .

غير أننا نقرر هنا رأياً يراودنا ، ونحن نخوض هذا اليم ، أو الخضم من المعلومات والتقديرات المتراوحة بين سبعة آلاف سنة ، وعشرة ملايين من السنين ، والذي نريد أن نقوله إجمالاً : هو أن الخالق العظيم خلق هذا الكون الهائل حين قال : ( كن ) فكان .

أجل .. كان ما كان ويكون وسيكون .. كان الماضي والحال والمستقبل ، كانت الدنيا بكل مكوناتها ، وكانت الآخرة بجنتها ونارها وخلودها ، وما يتضمنه ذلك من بعث وحشر وحساب .

كان كل ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، في إطار من الزمان المطلق ، والمشيئة المطلقة ، والانكشاف المطلق ، فليس - بالنسبة إلى الخالق - قيود من الزمان ، أو المكان ، أو أية عوامل أخرى ، أما الإنسان فهو نقطة في بحر الحقيقة .. نقطة محكومة بالزمان والمكان ، وحدود الإدراك - كما أراده الله .

وقد خلق الله هذا الإنسان ليكون سيداً في الكون الفسيح ، الذي يتزايد ضخامة واتساعاً أو امتداداً ، دون توقف .. بأسرع من سرعة الضوء .

ثم جعل الله سبحانه وتعالى لهذا الكون نهاية ، كما أن له بداية ، وحين تحين هذه النهاية سوف تتغير معالم الكون كله كما قال سبحانه ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) ﴾ [التكوير] ، وقال تعالى



## الإنسان بين العلم والقرآن

مرة أخرى نكرر ، ولا نمل التكرار :

لا بد أن نسلم بأن معطيات العلم ليست حقائق مطلقة في أغلب الأحيان بل هي رؤى نسبية ، من حيث إن العقل الذي يتوصل إليها مرتهن بقيود من البيئة ، والزمان ، والقدرات الذاتية ، والدلائل المتاحة .. إلخ .

أما القرآن ، وهو الكلمة الإلهية النهائية في الخطاب ما بين السماء والأرض ، أو ما بين الأعلى والأدنى - فإنه ولا شك يقدم للعقل الإنساني الحقائق النهائية في الموضوع . ولكن الأجيال تتفاوت في فهم النص المقدس ، حتى يبدو ما استخرجه الفكر الديني - حتى الآن من النصوص - مناقضاً للعلم ، ولا سبيل إلى تحقيق اللقاء بينهما .

ونحن - بادئ بدء - نقرر أن التناقض بين القرآن ، وما توصل إليه العلم من حقائق نهائية - مستحيل ، وإنما يأتي التناقض من جهة أن العلم لم يستقر بعد على بر الحقيقة الكاملة ، بل ما زال يدور في إطار النظريات الظنية الدلالة ، إلى جانب أن التناقض قد يأتى من عطف التفكير الذي تتسم به معالجة الأفكار .

ولنتنظر - مثلاً - إلى الجمود الذي أت عند القول بالبداية الآدمية للحياة ، حدود عشرة آلاف عام . وهو تقدير الحياة الإنسانية تراوحت ما بين  
السنين .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۖ ۝٤٨ ﴾ [إبراهيم] . هل يعقل أن يكون هذا الملك والملكوت من أجل خليفة لا تدوم أكثر من عشرة آلاف سنة؟! أو بتعبير أدق : لا تدوم أكثر من عشرة أيام - بحساب الزمان الإلهي الذي يقرر : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧ ﴾ [الحج] .. إلخ ... !!

وهب أن ذلك الزمان امتد إلى مليون سنة ، أو حتى عشرة ملايين ، فإن ذلك لا يعدو أن يكون بضعة آلاف من الأيام الإلهية .. والله المثل الأعلى .

إن ملك الله عظيم ...

وإن شأن الله أعظم ...

ولهذا الإله - تقدست أسماؤه ، وتعاضمت آلاؤه - سجدت الأجساد ، الأرواح ، وعنت الوجوه والعقول ، ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨ ﴾ [طه] ، ومن أجل هذا كان موعد النهاية سرًا مكتونًا لا يعلمه إلا هو .. إنه موعد الزلزال الكوني الذي يضع النهاية لرحلة .. لآيين السنين .. ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧ ﴾ [المعارج] . يخفى أن نردد هنا قول الله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ [الحج] .

أى بَوْنٍ شاسع بين التقديرين ؟ وهل من سبيل إلى لقاء بينهما ؟

نحن نرى أن ذلك ممكن من خلال فهم واع للنصوص القرآنية .. فهُمْ يخرج عن المذهب التقليدى الذى التزمت به التفسير كلها ، ويسعى إلى استنطاق النظم القرآنى ، ما دام هناك إمكان لالتقاء العلم بالقرآن .

ولسوف نحاول السير مع القرآن فى حديثه عن الإنسان والخلق ، منذ الآيات الأولى التى استهل بها الوحي المحمدى ، وسيرا مع هذا الوحي إلى شاطئ الحقيقة القرآنية .

لكن - قبل أن نشرع فى هذا العرض نحب أن نقدم نوعاً من الأحافير ، أو الأعاجيب التى أشارت إليها المراجع العربية . وهى ذات دلالة ومغزى ، يخدم سعيينا لتحقيق إمكان اللقاء بين العلم والقرآن . وإن غلب عليها طابع المبالغات ، وأسلوب الأساطير .

## الفصل الثالث

### نظرة القدماء إلى وجود الخليفة

إذا كان علماء السلف قد اتفق جمهورهم على أن آدم هو أول الخليفة ، وأول ما خلق من تراب - فإن بعضهم قد ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فتصوروا لهذه الخليفة وجوداً ممتداً فى أعماق الزمان ، قبل آدم ، ربما إلى ملايين السنين ، والمهم أن أحداً ممن قال بهذا المذهب لم يلق نكيراً من الفريق الآخر .. بل عاشت الآراء المتناقضة جنباً إلى جنب ، حتى تلقيناها ورأينا كيف أنار الله بصيرة الأقدمين فامتدت رؤيتهم إلى أعماق الغيب قبل التاريخ على هذه الأرض ، وتنوعت رؤيتهم تبعاً لاختلاف التخیلات ، وما نحسب أنهم اعتمدوا على شواهد مادية .. بل هى محض تخيلات هدامهم إليها تأملهم المنطقى فى أحوال الدنيا .. ( ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء : أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الأرض قبل آدم ثمانياً وعشرين أمة على خُلُقٍ مختلفة ، وهى أنواع

منها ذوات الاجنحة ، وكلامهم قرقعة .

ومنها ما له أبدان كالاسود ، ورؤوس وكلامهم دوى .

ومنها ما له وجهان ، واحد من قـ  
كثيرة .

ومنها ما يشبه نصف الإنسان بيدٍ ورجلٍ ، وكلامهم مثل صياح  
الغرائق<sup>(١)</sup> .

ومنها ما وجهه كالآدمى ، وظهره كالسحفاة ، وفى رأسه قرن ،  
وكلامهم مثل عوى الكلاب .

ومنها ما له شعر أبيض ، وذنب كالبقرة .

ومنها ما له أنياب بارزة كالخناجر ، وآذان طوال .

ويقال : إن هذه الأمم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين  
أمة . ( المستطرف / ٣٩٨ ) .

هذه صورة من تفكير الأقدمين أو تخيلاتهم عن الماضى السحيق قبل  
هذه الخليفة ، فقد لفقوا أشكالاً من المخلوقات لا دليل على أنها رجعت إلا  
فى الاحتمال الخيالى ، ومع ذلك يبقى - بعد استبعاد ما لا دليل عليه من  
الأشكال - أن الأرض كانت معصورة قبل آدم ، سواء بمثل تلك الأصناف ،  
أو بأصناف أخرى كالديناصورات ، أو الماموث أو بأوادم آخرين قبل آدم  
- أبينا - على ما قرره بعض العلماء ، أى : إن آدم لم يكن أول مخلوق  
عاقل على هذه الأرض .

ومن المؤكد أن أمما كثيرة من المخلوقات كانت موجودة قبل ظهور  
الإنسان ، كأمم الطير ، والحيوان ، والنبات ، وهى كلها أمم بنص الآية  
الكريمة ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْتَ لَكُمْ  
مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام] ، وإذا كان النص صريحاً

(١) الفرنوق طائر مائى أبيض طويل الساق ، جميل المنظر . له فتزعة ذهبية اللون  
والجمع ، غرائق .

فى دواب الأرض والطيور - فإن النبات فى نظر العلماء كائن نام ، ما  
اختلاف أشكاله وفصائله ، والآية الكريمة تشير إلى حقيقة مذهلة  
تأتى فاصلتها : ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام] ، وفى ذلك جلاء  
من المناقشات حفلت بها كتب التفسير .

أما عن اهتمام العلماء بالتفتيش أو بملاحظة ما يجدون صدفة  
الأرض ، ومتابعة آثار الأحياء فيها ، واستدلالهم بشواهدا على  
الحياة البشرية وعهودها السحيقة - فذلك أمر لم تتوافر أدواته للأقدمين  
ولا تهيات أسبابه إلا فى عصرنا الحديث مع تطور علوم الأحياء  
(الجيولوجيا) والإنسان (الأنثروبولوجيا) ، والأساطير (الميثولوجيا)  
والتحليلات الكربونية .. وغيرها .

ولكن كان للأقدمين فكرة عن الإنسان القديم ، ولم تكن أفكارهم  
فى تقدير تاريخ الحياة على الأرض إلى أبعد من حديث القرآن عن  
نوح ، وعاد وثمود ، وقوم إبراهيم وقوم لوط .. إلخ .

وهذه عهود قديمة نسبياً كما سبق أن قررنا ، وهى لم تتجاوز  
ألف عام ، وهم معذرون قطعاً فيما ذهبوا إليه .

وقد اعتمد بعضهم على مشاهداته لقطع  
عظمية ، حاولوا تفسيرها ووصفها بقدر ما رز  
حياة الماضين وأوصاف هياكلهم الجسمية ،  
الذى تصفه الأحافير التى عثر عليها العله  
الأحافير التى وصفها السلف - وجدت الآز  
فى عهوده السحيقة . لكن المشكلة أن شبي

الآن . ولئن صح أنه وجد ، فهو وجود مقرون بالمبالغة والتزديد ، حتى حسمت الحقيقة ، وضاعت معالمها ضياعاً نهائياً .

ولنذكر عينة من هذه الأخبار ، يذكر مؤلف كتاب ( المستطرف في كل فن مستظرف ) : ( قال الشيخ عبد الله ، صاحب كتاب تحفة الألياب : دخلت إلى باشقرد ، فرأيت قبور عاد ، فوجدت سنّ أحدهم طوله أربعة أشبار . وعرضه شبران ، وكان عندي في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الأسفل فكان نصف الثنية شبرين ، ووزنها ألف ومائة مثقال . وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعاً ، وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع ، وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار ، كلوح الرخام ) .

وقد يكون هذا الوصف من باب المبالغة المسرفة . لأن مشاهدة الموميאות المتحفية التي مضى عليها خمسة آلاف سنة مثلاً - تبين لنا أن حجم الإنسان كان بنفس الحجم الحالي ، دون أدنى علاقة بما يصفه الشيخ عبد الله في كتابه المشار إليه ، ولذلك يبدو لنا أن للخيال دوراً في تضخيم حجم ما يزعم رؤيته من بقايا قوم عاد ، وربما كان ذلك من باب ( الحواديت ) التي جاء منها ألوان وأشكال في كتاب ( ألف ليلة وليلة ) . أو ربما كان ما وجدوه بهذا الوصف بقايا حيوان هائل ، كالديناصور مثلاً ، أو الأفيال الضخمة ، التي تقاس أنيابها بالأشبار . وزعم الراصف أنه يصف إنساناً من قوم عاد .

ويستمر الشيخ فيقول : ( ولقد رأيت في بلغار ، سنة ثلاثين وخمسمائة - نسل عاد رجلاً طويلاً ، طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعاً ، كان يسمى دنقى أو ديقى ، وكان يأخذ الفرس تحت إبطه ، كما يأخذ

الولد الصغير ، وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس . ويقطع جلده وأعضائه كما يقطع باقة البقل ، وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعاً تحمل على عجلة ، وبيضة عادية لرأسه - كأنهما قطعة من جبل ، وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا ، لو ضرب بها الفيل لقتله ، وكان خيئراً متواضعاً ، كان إذا لقينى يسلم على ويرحب ، ويكرمنى . وكان رأسى لا يصل إلى ركبته ، رحمة الله عليه ، ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها ، إلا حمام واحد ، وكانت له أخت على طوله ، ورأيتها مرات في بلغار ، وقال لي قاضى بلغار ، يعقوب بن النعمان : إن هذه المرأة العادية قتلت زوجها ، وكان اسمه آدم ، وكان أقوى أهل بلغار ، قيل : (إنها ضمت إليها فكسرت أضلاعه ، فمات من ساعته ) ( المستطرف / ٣٩٨ ) .

وقد تأثرت آراء الأقدمين من العلماء بما ورد في العهد القديم من أساطير عن الإنسان القديم ، ولا سيما قصة عوج بن عنق ، وهي أحد معالم الحياة القديمة التي كانوا يتسلون بروايتها ، وقد كان المستمعون يبهرون بتفاصيلها ، ويتصورون أنها تعبر عن واقع شهدته الأجيال القديمة .

( روى عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم ، إلا أنه كان لا يوصف طوله ، قيل : إنه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ، ويقال : إن الطوفان علا على رؤوس الجبال أربعين ذراعاً ، وكان يجتاز بالمدينة فيخطاها كما يخط . أحكم الجدول الصغير ، وعمره الله دهرًا طويلاً حتى أدرك موسى ع . جباراً في أفعاله ، يسير في الأرض برأً وبحراً ، ويفد إنه لما حصرت بنو إسرائيل في التيه ذهب فأتى

## الفصل الرابع

### حديث القرآن

جدير بنا أن نذكر السور القرآنية التي تعرضت لقصة الخلق ، وما يتصل بها ، مرتبة حسب النزول ، لنتابع من خلال هذا الترتيب تدافع معاني الوحي القرآني ، ومنهجه في سوق الأحداث والحقائق ، كما أراد الله للإنسان أن يتعلمها ، وقد جاء الترتيب هكذا :

رقم السورة حسب النزول	اسم السورة	ملاحظات
١	العلق	الإشارة الأولى للإنسان
٤	المدثر	الإشارة الأولى للبشر
٧	الاعلى	﴿ الذي خلق فسوى ﴾ ( لأول مرة )
٢٧	التين	إشارة عامة لخلق الإنسان ﴿ في أحسن تقويم ﴾
٣٠	القيامة	الذكر والانثى - نطفة من ﴿ منى يعنى ■ ثم كان علقه فخلق فسوى ﴾
٣٢	المرسلات	إشارة إلى الماء المهيّن ، والقرار المكين
٣٣	ق	إشارة إلى حضور الله في خلقه

قدرهم . واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم ، فبعث الله طيراً في منقاره حجر مدور ، فوضعه على الحجر الذي على رأسه ، فانثقب من وسطه ، وانخرق في عنقه . وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج إليه وضربه بعضاً فقتله ، ويقال : إن موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ، وقفز في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل إلى عرقوبه . فتبارك الله أحسن الخالقين ) .

والعجيب أن يزعم راوى الأسطورة أن عوجاً عاش - وهو الحفيد لآدم - حتى عهد موسى ، أى : أكثر من سبعة آلاف سنة ... ٩٩٠٠

وتمضى الأسطورة فتحكى عن عنق أم عوج فتقول : ( عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام ٩٩ ) ، وكانت مفردة بغير أخ ، وكانت مشوهة الخلقة . لها رأسان ، وفي كل يد عشرة أصابع ، ولكل أصبع ظفران كالمنجلين ) ، وقال على ابن أبى طالب : ( هى أول من بغى فى الأرض ، وعمل الفجور ، وجاهر بالمعاصى ، واستخدم الشياطين ، وصرفهم فى وجوه السحر . فأرسل الله عليها أسداً أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها ، وذلك بعد ولادة عوج بسنتين ) .

إننا لم نأت بكل ما قيل عن عنق وولدها عوج ، وقد اختصرنا شيئاً من أخبارهم لكي نظهر ما بلغته الأساطير من السيطرة على عقول الناس قديماً ، وحين تأتى الأساطير فى كتاب مقدس مثل التوراة - فإنها تستبد بعقول الاتباع ، وتحجب عن أبصارهم بصيص العقل ، وهو ما غرقت فيه عقول كثيرين طوال قرون عديدة



رقم السورة حسب النزول	اسم السورة	ملاحظات
٣٥	الطارق	إشارة إلى مادة الخلق في الصلب والترائب والماء الدافق الذي يخرج من بينهما .
٣٧	ص	قصة الخلق والملائكة وإبليس للمرة الأولى ( دون ذكر آدم )
٣٨	الأعراف	الخلق والتصوير ثم قصة آدم والملائكة وإبليس - ( آدم يذكر للمرة الأولى )
٤٠	يس	﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾
٤١	الفرقان	الماء والبشر ، والنسب والصهر .
٤٢	فاطر	﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً ﴾
٤٣	مريم	﴿ أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾
٤٤	طه	﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ . آدم وحياته الأرضية
٤٩	الإسراء	اعتراض إبليس على السجود للطين . وحوار بين الله وبينه .

رقم السورة حسب النزول	اسم السورة	ملاحظات
٥٣	الحجر	الخلق من صلصال من حمأ مسنون إلى آخر القصة .
٥٤	الأنعام	إشارة إلى الخلق من الطين لا شك في هذا .
٥٥	الصافات	إشارة إلى الخلق من الطين اللازب .
٥٩	غافر	إجمال مراحل الخلق والشيخوخة .
٦٨	الكهف	علاقة التراب بالنطفة ﴿ ثم سواك رجلاً ﴾
٦٩	الحل	﴿ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾
٧٠	يوح	الأطوار ، والإنبات من الأرض والعودة إليها .
٧٢	الأنبياء	الحياة من الماء ﴿ من الماء كل شيء حي ﴾
٧٣	الزمر	تفصيل مراحل الخلق ﴿ من سلالة من طين ﴾
٧٤	سجدة	﴿ بدأ خلق الإنسان من طين ﴾ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴿

يكون من غير أن يكون له . . . . .  
 الخ . . . . .  
 (١٦) . . . . .  
 (١٧) . . . . .  
 (١٨) . . . . .  
 (١٩) . . . . .  
 (٢٠) . . . . .  
 (٢١) . . . . .  
 (٢٢) . . . . .  
 (٢٣) . . . . .  
 (٢٤) . . . . .  
 (٢٥) . . . . .  
 (٢٦) . . . . .  
 (٢٧) . . . . .  
 (٢٨) . . . . .  
 (٢٩) . . . . .  
 (٣٠) . . . . .  
 (٣١) . . . . .  
 (٣٢) . . . . .  
 (٣٣) . . . . .  
 (٣٤) . . . . .  
 (٣٥) . . . . .  
 (٣٦) . . . . .  
 (٣٧) . . . . .  
 (٣٨) . . . . .  
 (٣٩) . . . . .  
 (٤٠) . . . . .  
 (٤١) . . . . .  
 (٤٢) . . . . .  
 (٤٣) . . . . .  
 (٤٤) . . . . .  
 (٤٥) . . . . .  
 (٤٦) . . . . .  
 (٤٧) . . . . .  
 (٤٨) . . . . .  
 (٤٩) . . . . .  
 (٥٠) . . . . .  
 (٥١) . . . . .  
 (٥٢) . . . . .  
 (٥٣) . . . . .  
 (٥٤) . . . . .  
 (٥٥) . . . . .  
 (٥٦) . . . . .  
 (٥٧) . . . . .  
 (٥٨) . . . . .  
 (٥٩) . . . . .  
 (٦٠) . . . . .  
 (٦١) . . . . .  
 (٦٢) . . . . .  
 (٦٣) . . . . .  
 (٦٤) . . . . .  
 (٦٥) . . . . .  
 (٦٦) . . . . .  
 (٦٧) . . . . .  
 (٦٨) . . . . .  
 (٦٩) . . . . .  
 (٧٠) . . . . .  
 (٧١) . . . . .  
 (٧٢) . . . . .  
 (٧٣) . . . . .  
 (٧٤) . . . . .  
 (٧٥) . . . . .  
 (٧٦) . . . . .  
 (٧٧) . . . . .  
 (٧٨) . . . . .  
 (٧٩) . . . . .  
 (٨٠) . . . . .  
 (٨١) . . . . .  
 (٨٢) . . . . .  
 (٨٣) . . . . .  
 (٨٤) . . . . .  
 (٨٥) . . . . .  
 (٨٦) . . . . .  
 (٨٧) . . . . .  
 (٨٨) . . . . .  
 (٨٩) . . . . .  
 (٩٠) . . . . .  
 (٩١) . . . . .  
 (٩٢) . . . . .  
 (٩٣) . . . . .  
 (٩٤) . . . . .  
 (٩٥) . . . . .  
 (٩٦) . . . . .  
 (٩٧) . . . . .  
 (٩٨) . . . . .  
 (٩٩) . . . . .  
 (١٠٠) . . . . .

ملاحظات	اسم السورة	رقم السورة
الخ	النساء	١٧
الخ	النساء	١٨
الخ	النساء	١٩
الخ	النساء	٢٠
الخ	النساء	٢١
الخ	النساء	٢٢
الخ	النساء	٢٣
الخ	النساء	٢٤
الخ	النساء	٢٥
الخ	النساء	٢٦
الخ	النساء	٢٧
الخ	النساء	٢٨
الخ	النساء	٢٩
الخ	النساء	٣٠
الخ	النساء	٣١
الخ	النساء	٣٢
الخ	النساء	٣٣
الخ	النساء	٣٤
الخ	النساء	٣٥
الخ	النساء	٣٦
الخ	النساء	٣٧
الخ	النساء	٣٨
الخ	النساء	٣٩
الخ	النساء	٤٠
الخ	النساء	٤١
الخ	النساء	٤٢
الخ	النساء	٤٣
الخ	النساء	٤٤
الخ	النساء	٤٥
الخ	النساء	٤٦
الخ	النساء	٤٧
الخ	النساء	٤٨
الخ	النساء	٤٩
الخ	النساء	٥٠
الخ	النساء	٥١
الخ	النساء	٥٢
الخ	النساء	٥٣
الخ	النساء	٥٤
الخ	النساء	٥٥
الخ	النساء	٥٦
الخ	النساء	٥٧
الخ	النساء	٥٨
الخ	النساء	٥٩
الخ	النساء	٦٠
الخ	النساء	٦١
الخ	النساء	٦٢
الخ	النساء	٦٣
الخ	النساء	٦٤
الخ	النساء	٦٥
الخ	النساء	٦٦
الخ	النساء	٦٧
الخ	النساء	٦٨
الخ	النساء	٦٩
الخ	النساء	٧٠
الخ	النساء	٧١
الخ	النساء	٧٢
الخ	النساء	٧٣
الخ	النساء	٧٤
الخ	النساء	٧٥
الخ	النساء	٧٦
الخ	النساء	٧٧
الخ	النساء	٧٨
الخ	النساء	٧٩
الخ	النساء	٨٠
الخ	النساء	٨١
الخ	النساء	٨٢
الخ	النساء	٨٣
الخ	النساء	٨٤
الخ	النساء	٨٥
الخ	النساء	٨٦
الخ	النساء	٨٧
الخ	النساء	٨٨
الخ	النساء	٨٩
الخ	النساء	٩٠
الخ	النساء	٩١
الخ	النساء	٩٢
الخ	النساء	٩٣
الخ	النساء	٩٤
الخ	النساء	٩٥
الخ	النساء	٩٦
الخ	النساء	٩٧
الخ	النساء	٩٨
الخ	النساء	٩٩
الخ	النساء	١٠٠

... (٥) ...

... (٦) ...

... (٧) ...

... (٨) ...

... (٩) ...

... (١٠) ...

... (١١) ...

... (١٢) ...

... (١٣) ...



## الفصل الخامس

### أولاً : إعلام الملائكة

قول الله سبحانه وتعالى للملائكة : ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا﴾ ، وهي عبارة تحمل كثيراً من المعاني ، ذلك أن الآية تبدأ بعبارة : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ ، فهي تستخدم لفظة ( الرب ) مضافة إلى ضمير المخاطب ، وهو : ( محمد ﷺ ) ، على نسق ما جاء في الخطاب الأول : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ، وهي إضافة تقرب النبي من حضرة ربه ، وتدنيه من جلاله ، وهو ما جرى عليه الوحي في السور الأولى بشكل عام .

لكن .. كيف قال ( ربك ) ؟ وكيف تلقت الملائكة هذا القول ؟ ذلك ما لا سبيل إلى إدراكه ، وإن كان هنالك سبيل إلى تأويله : فالرب إذا تكلم فكلامه ليس بحرف ، ولا صوت ، وهذه صفة كلامه النفسي كما قررها علماء الكلام ، ولكن إدراك الخطاب الإلهي يتحقق في كل جنس بحسبه ، فإذا تلقى الإنسان ذلك الخطاب فمن خلال الحرف ، والصوت ، واللغة ، وإذا تلقت الملائكة فمن خلال قدراتها التي تختلف عن قدرات الإنسان ، لاختلاف طبيعتها عن طبيعته ، ولا مانع من أن يكون بلفة ما .. كيفما فطر الله ملائكته .

أما كيف تم هذا الحوار فخوض في غمار الغيب المحجوب ، والحديث فيه اتباع لما تشابه من آيات الله ، ونسال الله أن ييسر بيننا وبين الفتن ،

وإن يلهنا القدرة على تأويل هذه التشابهات بما يليق بجلاله . وكل ما  
يعنيها هو التسليم بصدق الخبر ، ووقوع الحوار ، والله في ذلك حكمة هو  
أعلم بها .

ولا ريب أن تلقى النبي ﷺ لهذا الخطاب كان مختلفاً عن تلقينا له ،  
باعتبار أنه أعلم بربه وأنه ذو اتصال بالملا الأعلى ( عالم الملائكة ) ، منذ  
جاء الروح الأمين بالوحي ، فإذا خاطب الله نبيه فإن لهذا الخطاب موقعه  
من نفس النبي ، حتى تكاد قدراته الروحية ترفعه إلى مرتبة الشهود ،  
استشفافاً لما وراء الكلمات المنزلة ، واستشراقاً للحضور القدسي ، فهو  
ماثل على الأرض ، وهو في نفس الوقت يعاين من آيات ربه ما لا يعاين  
الجلوس من حوله ، إن كان الوحي بمحضر منهم .

أما الملائكة فحسبنا من وصفهم ما جاء بشأنهم في القرآن ، فهم :  
﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ، وهم لا يسبقون الله سبحانه ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ  
بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى  
وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ﴿[الأنبياء] ، وهم كذلك : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا  
أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم] .

ووصفهم القرآن أيضاً في مطلع سورة فاطر أو ( الملائكة ) - بقوله  
تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ  
مَّثْنًى وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ..﴾ (١) [فاطر]

ولا ريب أن لهذه الأوصاف معاني محددة لا نستطيع أن نحيط بها  
علماً وحسبنا هنا أن ننقل عن تفسير ( المنار ) ما قرره الأستاذ الإمام  
محمد عبده ، حين تحدث عن الملائكة ، فقال : ( أما الملائكة فيقول السلف :

إنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم ، وببعض عبادهم ، فيجب علينا  
الإيمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم ، فمعرض علمها إلى الله  
تعالى ، فإذا ورد أن لهم أجنحة نؤمن بذلك ولكننا لا نعلم : إنها ليست  
أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور ، إذ لو كانت كذلك لرأيناها ،  
وإذا ورد أنهم موكلون بالعوامل الجسمانية ، كالدواب والبهائم فإنا  
نستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر أظف من هذا العالم المحسوس ،  
وأن له علاقة بنظامه وأحكامه ، والعقل لا يحكم باسمه آلة هذا ، بل يحكم  
بإمكانه ، ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به ) .

ثم قال : ( وأما الفائدة فيما وراء البحث في حقيقة الملائكة ، وكيفية  
الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهي من وجوه :

أحدها : أن الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى أميده أن يسأله عن  
حكيمته في صنعه ، وما يخفى عليهم من أسرارهم في ملكه ، ولا سيما عند  
الحيرة . والسؤال يكون بالمقال ، ويكون بالحال والله أعلم إلى الله تعالى في  
استفاضة العلم بالمطلوب من ينابيعه التي جرت منه ، أنه تعالى بان يفيض  
منها ( كالبحث العملي ، والاستدلال العقلي ، والإلهام الإلهي ) ، وربما  
كان للملائكة طريق آخر لاستفاضة العلم ، غير معروف لأحد من البشر .  
فيمكننا أن نحمل سؤال الملائكة على ذلك (١) .

(١) تفسير المنار ١/٢١٢ - ٢١٣ .

## ثانيا : خلق البشر من طين

ونصر إعلام الله للملائكة يأتى هكذا ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ ضَبٍّ﴾ [مر] واستخدام الصيغة ( خالق ) هنا يفيد الإحداث .. أى : الإيجاد من عدم ، والسؤال هو : هل هذه الصيغة فى موقعها تفيد المضى ، أو المستقبل ؟ ونرى أنها تفيد المضى ، أى : إن الله كان قد خلق هذا البشر قبل الإعلام به ، وقد زاد أن يخبر الملائكة تهيئة لهم ، حتى يتابعوا أحوال المخلوق ، خلال مراحل التسوية ، والنفخ الإلهى - كيما يقفوا له ساجدين - كما أمره . ولعل ذلك ( الخلق ) داخل فى الأمر الأزلئ ( الخالق ) ( كن ) وهو مراد تعرف الملائكة كل تفاصيله ، إلا أن يأذن لها الله بذلك . أما بقية الأثر فمتضمن ذكر ( البشر ) و( الطين ) ، والعلاقة بينهما .

فما البشر فهى تسمية لذلك المخلوق الذى أبدعه الله تعالى من الطين ، - فى اللغة من ( ب ش ر ) ، وهو يفيد ( الظهور مع حسن وجمال ) ، - ابن فارس : ( هو أصل واحد : ظهور الشيء مع حسن وجمال ، - سى البشر بشراً لظهورهم<sup>(١)</sup> وفى المعجم الكبير : البشر .. الإنسان ، - سى البشر ، وللواحد والمثنى والجمع ، وقد يثنى كما جاء فى القرآن : ﴿مِنْ بَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [٤٧] ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، وقد يجمع على (أبشار)<sup>(٢)</sup> لكن يجب كثير فيه أفراد ، مع ملاحظة أن الكلمة جامدة ، لا تتصرف بوجه - وجود والمعنى المناسب هنا هو ظهور هذا المخلوق من بين تراب .. أى من طين ، كما ورد ذلك فى الإسراء ، والأنعام ، والصفافات ،

خير حقه ٢٥١/١

سب ٢٢٥/٢ سوف يحدد المعنى من سياق المعالجة .

وكان خلقه بكل بساطة كما ظهرت النباتات ، وهو قوله تعالى فى سورة نوح ( السبعين نزولاً ) : ﴿وَاللَّهُ أَنْتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح].

ومع أن كل حيوان أو طير أو حشر - إلى آخر سلسلة الكائنات - هو من طين ، فإن البشر هو أبرز هذه المخلوقات ، وأكدها وجوداً ، فلذلك أطلق عليه فى القرآن ( البشر ) .. أى : الظاهر على كل الكائنات الطينية .. يسخرها لخدمته ، ويستمد منها قوته وقوته ، ويصارع وجودها تأمينا لوجوده .

وربما كان إطلاق كلمة ( بشر ) أيضا بهذا المعنى ، وهو ( الظهور ) - مقابل لما يتصف به عالم الملائكة ، وعالم الجن ، من عدم الظهور ، فهم خلق لا يرى ، وقد قرر القرآن ذلك بشأن ( الجن ) ، إذ هى كلمة مشتقة من معنى : ( الاجتنان ) وهو الاستتار ، والله يقول عن الشيطان وقبيله : ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [٢٧] [الأعراف] ، فالظهور فى البشر ، والخفاء فى الجن - هما حقيقة الحياة التى تمر هذه الأرض ، على اليابسة ، والماء ، وفى جو السماء .

والعجيب أن للعربية هنا تميزاً وتوقفاً على اللغات الأخرى ، فقد حققت بهذا اللفظ ( بشر ) تطابقاً عجيباً مع معناه ، وكأنما كانت تستملئ الغيب ، وتستقرئ أسناره ، ليمنحها هذه اللفظة ، دون اللغات الأخرى فى الفصيلة السامية . بل دون ما عهدنا من اللغات الأوروبية .

فاللغات السامية كالسريانية ، والحبشية ، والآرامية - لا تعرف كلمة ( بشر ) ، بل ولا تعرف كلمة ( إنسان ) ، وإنما المستخدم فيها هو ما يؤخذ من كلمة ( آدام ) ، أو ( بنى آدام ) ، وقد عرفت العبرية هاتين

الكلمتين فعلاً للدلالة على ( الإنسان ) ، وأما ( بشر ) فقد جاء في سفر التكوين لفظها بالسسين ( بسر ) ، وهي بمعنى ( لحم ) ، وبمعنى ( نفس ) في عبارة العهد القديم : ( كل بسر حي ) ، أي : كل نفس حية<sup>(١)</sup> .

غير أن هذه الكلمة ( بسر ) على خلاف القاعدة الغالبة بين العربية والعبرية ، فنحن نعرف أن ما ينطق بالسسين في العربية هو في العبرية بالشين ، مثل : سلام وشالوم ، وسماء وشماي . وطردا لهذه القاعدة كان الانسب أن تكون بالسسين في العربية وبالشين في العبرية ، لكن ما حدث هو العكس .

هذا من ناحية اللفظ ، وأما من ناحية المعنى فهناك اختلاف كامل بين معنى الكلمة ( بشر ) في العربية ، ومعنى ( بسر ) في العبرية .. وهي علامة استفهام تحتاج إلى إجابة حاسمة .

وفي الفارسية استخدمت الألفاظ العربية ، مع كلمة ( مُرد ) ، وهي الوحيدة في اللسان الفارسي بمعنى ( رجل ونفر وشخص وإنسان ) ، وهي أيضا كلمات مستخدمة فيها .

وفي اللغة الاردية استخدمت كلمة ( آدمي ) في ترجمة كلمة ( بشر ) ، واستخدمت كلمة ( إنسان )<sup>(٢)</sup> .

وأما اللغات الغربية فمنها الإنجليزية ، وقد استخدمت كلمة ( man ) بمعنى ( بشر وإنسان ) ، وقد استخدم محمد بكثال في ترجمته للقرآن

(١) معلومات مستقاة بواسطة الزميل الدكتور عبد الرحمن عرف - رحمه الله - أستاذ العبرية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

(٢) قرآن حكيم - اردو ترجمة - سيد بشير أحمد .

كلمة mortal بمعنى ( بشر ) ، وكلمة man بمعنى ( إنسان ) ، في حين استخدم المترجم عبد الله يوسف على كلمة man في كلا المعنيين . ومع أن الإنجليزية عرفت كلمتين هما : mankind و human being ، فإن كليهما ذات علاقة بمعنى ( إنسان ) .

وكذلك الفرنسية ، فقد جاء في ترجمة دنيس ماسون استخدام كلمة homme مقابل ( إنسان ) ، و mortel مقابل ( بشر ) ، وفي ترجمة صلاح الدين كشريد homme : إنسان ، etre humain : بشر ، واقتصر محمد حميد الله على كلمة homme للمعنيين ، في حين استخدم جاك بيرك homme : إنسان ، و humain : بشر .

ولا يخفى أن المراد بكلمة mortel هو : الفاني أو الهالك ، في حين تعني عبارة etre humain أو human being : كائن إنساني ، فلم تعرف اللغتان ما عرفته العربية لكلمة ( بشر ) من تقابل معناها مع المقصود بكلمة ( جن أو ملك ) ، أو دلالتها على الحسن والجمال .

وقد استخدم مترجم القرآن إلى اللغة المجرية كلمة ember وهي بمعنى : ( إنسان ) في ترجمة كلمة ( بشر )<sup>(١)</sup> .

كما استخدمت اللغة التركية كلمة ( إنسان ) في الموضعين<sup>(٢)</sup> .

ومهما تتبعنا ترجمات القرآن في اللغات المختلفة فإننا لا نجد سوى كلمة منه في مراجعتنا لمجموعة الترجمات التي أصدرها مجمع الملك فهد ابن عبد العزيز بالمدينة المنورة ، وقد بلغت عدتها تسع عشرة ترجمة

(١) ترجمة القرآن إلى اللغة المجرية - كونفيك هيلكون - سورة الحجر - ص ١٨٤

(٢) ترجمة القرآن إلى اللغة التركية - مجمع الملك فهد - المدينة المنورة - ص ٢٦٢ .



( ५५ )

[illegible]

12759 -

[illegible]

הַיְּהוָה יִשְׁמַר אֶת צְדָקָתְךָ יְהוָה וְעַל מֵנוּן לֹא תִפְחָד.

[illegible]

992.

[illegible]

॥ श्रीगणेशाय नमः ॥

[illegible]

[1462]

﴿ ۸ ﴾ نَبِيٍّ مِّنْ قَبْلِكَ وَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ۹ ﴾

[Figure 1]

٧٨

[illegible][illegible]

[۱] ﴿يَسْأَلُكَ الْمُتَّقِينَ تَمَسَّ يَدُ رَبِّي لَا تَرَاهُ فَنَرَاهُ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ نُسَىٰ﴾

: (مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)

في ( جمال و حسن بلاطه ) جلوسه العتيق و ينفس السباق و نفس  
 في استجابتها استجابت في  
 في استجابتها استجابت في

[illegible][illegible][illegible]

٢ - ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ ﴾ (٧٩) ﴿ آل عمران ]

٣ - ﴿ فَقَالُوا ابْشِرْ بِهَدُونَا ۖ ﴾ (٦) ﴿ التين ]

٤ - ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۖ ﴾ (١٨) ﴿ المائدة ]

وخلاصة القول أن الكلمة جاءت في القرآن بمعان أربعة :

الاول : البشر هو : الظاهر على كل الكائنات ( وهو المعنى الاصلى )

الثانى : المخلوق بإطلاق ( وهو المعنى الاعم )

الثالث : المخلوق غير المتميز ( وصف سلبى )

الرابع : المخلوق المتميز ( وصف إيجابى )

ومن الواضح أن المعنى الاصلى الحقيقى هو المعنى الاول . أما المعانى الثلاثة الاخرى فهى معان سياقية يمكن اعتبارها توسعاً فى استخدام المعنى الاصلى ، وهو فيما لاحظنا أكثر شيوعاً فى الاستعمال القرآنى .

## الفصل السادس

### أولاً : حقيقة الطين

أما الطين فقد جاء فى مواضع مختلفة بهذا اللفظ ، والمقصود به إجمالاً : ( تراب + ماء ) . وقد بادر النص الكريم إلى ذكر ( الماء ) أصلاً لخلق البشر - والماء أحد طرفى المعادلة - فى قوله تعالى فى سورة الفرقان ( الحادية والأربعين نزولاً ) قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۖ ﴾ [الفرقان] ، وهى إشارة تدخل فى عموم قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ ﴾ [الانبيا] ، وسورة الانبياء هى الثانية والسبعون نزولاً ، إلى أن ينزل النص الكريم بتفصيل حاسم فى سورة النور ، وهى السورة الثانية بعد المائة ، فيقول سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ۖ ﴾ [النور] ، وليس وراء ذلك شكل من أشكال الحياة فيما يدب على الارض ، وإن تنوعت الاشكال فيما لا يدب على الارض .

وَعَوْدٌ إِلَى سورة الفرقان - الحادية والأربعين نزولاً - والتى ذكر فيها ( الماء ) أصلاً للبشر - لنجد أن السورة التالية لها مباشرة فى التنزيل ، وهى الثانية والأربعون ( سورة فاطر ) - تذكر ( التراب ) ، وهو الطرف الثانى للمعادلة الطينية . فيقول سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْرِى مِنْ مَعْمَرٍ

ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴿١٦﴾ [فاطر] ، وهي آية تتضمن الكثير من اختصاصات القدرة الإلهية ، ففيها - إلى جانب (التراب ) و ( النطفة ) - إشارة إلى الزوجية ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ ، وكأنها تفسير بوجه آخر لعبارة السورة السابقة ( الفرقان ) التي ذكرت فيه جعله نكاحاً ﴿ .. أي : في شكل أزواج تتكامل فيما بينها <sup>(١)</sup> .

ثم تكتمل معادلة الطين بردها إلى الأرض ، باعتبارها منبت الخلق ، وذلك في سورة ( طه ) ( الرابعة والأربعين ) ، فيقول سبحانه ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ﴿ ٥٥ ﴾ [طه] . كما قال في السورة السبعين ( نوح ) ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ ﴿ ١٢ ﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ ﴿ ١٨ ﴾ [نوح]

ويتكرر ذكر التراب بعد سورة ( فاطر ) في سورة الكهف ( الثامنة والستين نزولاً ) ، في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ [الكهف] وهكذا يقدم القرآن الحقيقة إجمالاً ، ثم يفصلها تدريجياً على مسار الوعي .

ويتعرض القرآن في سورة الحجر ، وهي السورة الثالثة والخمسون نزولاً ، وذلك في الآية الثامنة والعشرين - يتعرض لبعض أوصاف الطين: المادة البشرية ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ

(١) لا مرد على هذا ما توصل إليه العلم أخيراً في مجال استنساخ الحيوان . وهو ما فوجئ به العالم في قضية النعجة ( دوللي ) ، فإن إشارة القرآن إلى إنتاج الإنسان عن طريق الزوجية ، جدير عن الطريق الرسمي لمهور الأنس إلى مجال الحياة الأرضية . وهو لا ينفي وجود طرق أخرى يحاول العلم معرفتها .

مُسْتَوًى ﴿ ٢٨ ﴾ [الحجر] - لقد زادت هذه الآية للمادة وضوحاً حين ذكرت أن الطين كان في شكل ( صلصال من حمأ مسنون ) ، و ( الصلصال ) هو الطين اليابس ، أو هو الطين الحر خلط بالرمل ، فصار يتصلصل إذا جف ، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار ، وآية سورة الرحمن ( السادسة والتسعين نزولاً ) : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾ [الرحمن] .. تنفي عن الصلصال أن يكون طبخ بالنار ، وإن شُبِّهَتْ بالفخار في جفافه ، والحمأ : هو الطين الأسود ، والمسنون هو المبتل المنتن ، وقد زاد من صفات هذا الطين في سورة الصافات ( الخامسة والخمسين ) فذكر أنه ﴿ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ ﴿ ١١ ﴾ [الصافات] ، بمعنى : متلاصق أملس متماسك .

وسواء - في الحقيقة - أن يستخدم القرآن في تعبيره عن أصل البشر: الأرض أو التراب ، أو الطين ، أو الصلصال ، أو الحمأ المسنون ، فكل ذلك لا يختلف ، لأن المكونات واحدة تماماً ، في التراب وأشكاله السابقة ، وفي الجسد البشري أو المادة الحية .

يقول الأستاذ البهي الخولي : ( لو أنك أخذت قبضة من تراب الأرض الخصبة ، وأجريت عليها عمليات التحليل الكيماوي لوجدتها تتركب من ستة عشر عنصراً ، ولو أخذت قطعة من جسم الإنسان وأجريت عليها عمليات هذا التحليل لوجدتها كذلك تتركب من ستة عشر عنصراً - هي نفس العناصر التي تتركب منها تربة الأرض ، وهذه العناصر هي ما يأتي

- |                        |                        |
|------------------------|------------------------|
| ١ - الأكسجين = ٦٣,٠٢٪  | ٢ - الكربون = ٢٠,٢٠٪   |
| ٣ - الأيدروجين = ٩,٩٠٪ | ٤ - النيتروجين = ٢,٥٠٪ |



وَقَدْ بَدَأَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ﴿١﴾

[illegible]

[illegible]

**הַיְּסוּדִים**

הַיְּהוּדִים הַיְּהוּדִים

[illegible]

تَوَسَّوْا بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴿٣﴾ .

٧ - وفى السورة الخامسة والثلاثين : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ بِمَ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [الطارق] .

٨ - وفى السورة الثامنة والثلاثين : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ .. ﴿١١﴾ ﴾ [الأعراف] .

٩ - وفى السورة الأربعين : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَسَىٰ خَلْقَهُ .. ﴿٧٨﴾ ﴾ [يس] .

١٠ - وفى السورة الثانية والأربعين : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ .. ﴿١١﴾ ﴾ [فاطر] .

١١ - وفى السورة الثالثة والأربعين : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَلْبٍ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [مريم] .

١٢ - وفى السورة الرابعة والأربعين : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه] .

١٣ - وفى نفس السورة : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَنسِيٰ وَلَمْ نُجِدْ فِيهِ عِزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه] .

١٤ - وفى السورة الخامسة والأربعين : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَلَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الواقعة] .

١٥ - وفى السورة التاسعة والأربعين : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الإسراء] .

١٦ - وفى السورة الثالثة والخمسين : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحجر] .

١٧ - وفى السورة الرابعة والخمسين : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الانعام] .

١٨ - وفى السورة الخامسة والخمسين : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الصافات] .

١٩ - وفى السورة التاسعة والخمسين : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ .. ﴿٦٧﴾ ﴾ [غافر] .

٢٠ - وفى السورة الثامنة والستين : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الكهف] .

٢١ - وفى السورة التاسعة والستين : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ [النمل] .

٢٢ - وفى السورة السبعين : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [سج] .

٢٣ - وفى نفس السورة : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [سج] .

٢٤ - وفى السورة الثالثة والسبعين : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ

من طين (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٨) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً (١٩) ﴿[الذمّن]

٢٥ - وفي السورة الرابعة والسبعين : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مُهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ (٩)﴾ [السجدة]

٢٦ - وفي السورة الحادية والثمانين : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)﴾ [الانفطار]

٢٧ - وفي السورة الثالثة والثمانين : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (٤٠)﴾ [الروم]

٢٨ - وفي نفس السورة : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً (٥٤)﴾ [الروم]

والآيات المدينة هي :

٢٩ - وفي السورة السابعة والثمانين : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (٣٠)﴾ [البقرة]

٣٠ - وفي السورة الثالثة والتسعين : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً (١)﴾ [النساء]

٣١ - وفي السورة الثامنة والتسعين : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٢) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٣)﴾ [الرحمن]

٣٢ - وفي نفس السورة : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤)﴾ [الرحمن]

٣٣ - وفي السورة التاسعة والتسعين : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)﴾ [الإنسان]

٣٤ - وفي السورة الخامسة بعد المائة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ (٥٠)﴾ [الحج]

٣٥ - وفي السورة الثامنة بعد المائة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (١٧)﴾ [الحجرات]

وبلاحظ في نصوص هذه الآيات أن (خلق الإنسان) جاء بلفظه في ستة عشر موضعاً ، وأن بقية المواضع - وهي تسعة عشر موضعاً - يدل السياق فيها على أن المراد بها هو (الإنسان) ، وليس (البشر) ، حيث اكتفى النص بالإشارة دون العبارة ، أو جاء الخطاب للناس لا للإنسان ، أو كان النص على آدم ، وهو - فيما نرى - أول إنسان ، وكل ذلك جاء في سور : (الاعلى ، والمرسلات ، والأعراف ، وفاطر ، وطه - في موضعين - وفي الإسراء ، والأنعام ، والصفات ، وذا الحُر ، والكهف ، ونوح - في موضعين - والروم ، والبقرة ، والحج ، والحجرات ، وانفردت الواقعة بدعوة الناس إلى التأمل فيما يفرزون من منى) .

ولسوف يتضح لنا فيما بعد - أن المراد في هذه المواضع هو (الإنسان) ، وليس البشر ، والآيات الست عشرة تتحدث عن (خلق الإنسان) تارة من خلق ، وأخرى من نطفة ، أو من (نطفة أمشاج) ، وثالثة (من طين) ، أو



( من سلالة من طين ) ، أو ( من صلصال من حمأ مسنون ) ، أو ( من صلصال كالفخار )<sup>(١)</sup> .

وتأتى آية سورة الحج ( السورة الخامسة بعد المائة ) فتخاطب الناس نصاً وصراحة ، فتقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ۖ ۝ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَهِيَ تَجْمَعُ إِشَارَتَيْنِ إِلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ التَّرَابُ ، وَإِلَى الْأَصْلِ الْبَدِيلِ ، وَهُوَ النُّطْفَةُ .

و ( الناس ) : اسم جمع لبنى آدم ، واحده ( إنسان ) من غير لفظه .

### القرآن المكي

فإذا تابعنا بناء الصورة التى تأتى لبناتها فى الآيات الملكية المتتابعة وجدنا الحديث عن البداية الميثية للإنسان ، وهى ( الطلق ) فى السورة الاولى ، ثم تأتى إضافة فى السورة السابعة ، تشير إلى ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى ﴾ ، ثم تأتى لمحة عن المستوى الأخلاقى - فى السورة السابعة والعشرين ، فهو قد خَلَقَ أَوَّلًا ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ، ثم ارتد إلى ﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ ثم استثنى من هؤلاء السفلة جماعة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، وهى رسالة موجهة إلى معارضى الدعوة والمكذبين بالدين من كفار قريش .

ويعود الوحي إلى بيان آليات الخلق فى السورة الثلاثين ( القيامة ) : منى يفرز نطفة تتحول إلى علفة تحمل عناصر الذكورة والانوثة ، بحسب تقدير الله وتحديده للنوع ، وتشير السورة الثانية والثلاثون ( المرسلات )

(١) هو عنصر . وليس فخاراً ، لأن الفخار هو الطين المحروق ، وكان التشبيه يحتفظ فى السابق بهم . غرق فى الدلالة .

إلى نفس المعنى ، لكنها تذكر المكان الذى تتم فيه عملية الخلق ، وهو ( القرار المكين ) أو ( الرحم ) .

ثم يأتى الحديث فى السورة التالية مباشرة ، وهى الثالثة والثلاثون ( ق ) ليؤكد حضور الله سبحانه وتعالى فى وجود هذا الإنسان ، وهو ملمح تربوى ، يستلزم بعده الوحي فى السورة الخامسة والثلاثين ( الطارق ) ليقرر أن هذا الخلق العظيم ، ( خلق الإنسان ) ﴿ خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ (٦) يخرج من بين الصلب والترائب (٧) ﴿ الطارق ﴾ ، والصلب : فقار الظهر ، وهى منبع الماء الدافق عند الرجل ، والترائب : جمع .. مفردة تربية ، وهى عظام الصدر مما يلى الترقوتين ، وهى منبع ماء المرأة ، وهذه المعلومة كانت مجهولة للإنسان ، وبقيت مجهولة حتى منتصف القرن العشرين ، وقد تضمنها الوحي القرآنى منذ أوائل هذا الوحي ، أى : منذ أكثر من أربعة عشر قرناً .

ثم تأتى السورة الثامنة والثلاثون ( الأعراف ) لتتحدث عن الخلق والتصوير : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ، وهما مرحلتان فى عمر البشرية ، لعلهما استغرقتا بضعة ملايين من السنين ، والتصوير هنا يقابل التسوية فى مواضع أخرى ، ومع ملاحظة استعمال الاداة ( ثم ) التى تفيد التراخى بين الأمرين ، وهو ما سنفرده له معالجة أخرى .

وتنزل فى السورة الأربعين ( يس ) إشارة إلى ما يسبق العلق ، وهو ( النطفة ) مرة أخرى ، ولكن يقرن ذلك بالعجب من أن لا يعرف هذا المخلوق قدره فى مواجهة خالقه .. ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧٧) وضرب لنا مثلاً وننسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم (٧٨) قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩) [يس] .

ويواصل الوحي تعريف الإنسان بأصله في السورة الثانية والأربعين ( فاطر ) فيجمع لأول مرة بين التراب والنفطة ، ويضيف آية من آياته ، وهي خلق الزوج لياتلف مع زوجه ، وهو يتابع بعلمه ما يتم بين الأزواج ، وما يترتب عليه من حمل ووضع ، كما يتابع الأعمار - طويلة وقصيرة .

ثم يساعف التنزيل ذلك الإنسان فيخاطب عقله وذاكرته في السورة الثالثة والأربعين ( مريم ) ويسأله عن مرحلة ما قبل وجوده ، إن كان لديه شيء يذكره غير العدم : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ ، فالآية ترد الإنسان إلى ما سبقه من عدم ، وهو أنصع برهان على أنه مُحدث بيد القدرة ، وهي إشارة تشبه إلى حد كبير ما استهلته به سورة ( الإنسان ) - التاسعة والتسعون ( المدنية ) .

ويلى ( مريم ) في ترتيب النزول ( طه ) وهي السورة الرابعة والأربعين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ، وكأنها تدل الإنسان الباحث عن مبدأ خلقه إلى نقطة البداية التي ليس وراءها شيء يذكره مهما حاول .

فإذا نظر الإنسان إلى الأرض - ومنها خلقه الأول - أدركه سؤال السورة الخامسة والأربعين ( الواقعة ) ليقرب إليه صورة من الحقيقة ، ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ ٩٢

فإذا نظر إلى الأرض لبيحث عن أصله فليعلم أن جزءاً من هذه الأرض قفز إلى صلب أبيه ، وترائب أمه ، فلقحت - فيهما - الأرض الأرض ، فكان ذلك المخلوق الباحث عن الحقيقة ، يحسبها بعيدة ، وهي بين يديه . وفي إمامه : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٩٦ [الذاريات] .

## الإنسان يخرج من البشر

وهنا يأتي النصر الكريم في السورة الثالثة والخمسين ( الحجر ) ليرد الإنسان إلى أصل ( البشر ) : ﴿ صَلَاحٌ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ ، ولما كان السياق في السورة يذكر ( الإنسان ) في مقابل ( الجان ) في آيتي الحجر : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ ٩٦ و﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ﴾ ٩٧ [الحجر] فإن الحديث عن الأصل الترابي يرتبط غالباً ( بالبشر ) ، ولذلك يعود النص إلى الأصل فيقول : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ ٩٨ فإذا سويته وتفتحت فيه من رُوحى ففَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٩٩ [الحجر]

والربط بين ( الإنسان ) و ( الصلصال ) سياق تتولى تفسيره الآيات التالية التي تحدد المراد بالإنسان ، وهو ( البشر ) .

وينبغي أن نلاحظ أسلوب القرآن في سَوِّقِ الحقيقة هنا : فهو يذكر ( الإنسان ) هكذا معرّفاً ، باعتباره الموضوع الأساسي المقصود بالذكر ، والمخاطب بالآيات ، وهو في مقابل ( الجان ) المشارك للإنسان في التكليف والمسئولية على هذه الأرض .

فإذا شرع في بيان حقيقة الخلق منذ البداية ، ذكر أن هذه البداية كانت في صورة ( بشر ) .. هكذا مُنْكَرًا .. باعتباره النموذج الذي أجريت عليه عمليات التسوية ، والتصوير ، والنفخ من روح الله ( أو التزويد بالملكات العليا التي كان بها البشر إنساناً - وهي العقل ، واللغة ، والدين ) .

فقبل التسوية لم يكن المخلوق البشري إنساناً .. بل كان بداية خلق إنسان في حيز القوة ، قبل أن يكون إنساناً في حيز الفعل .

لم يكن أحيد من الجن أو من الملائكة يعلم شيئاً عن سر ذلك المخلوق البشرى ، أو عما سيؤول إليه أمره ، فذلك كله كان غيباً فى علم الله وحده ، وهو من اختصاص قدرته التى تابعت تنفيذ المخطط ، وتحقيق التسويات المطلوبة عبر الأجيال ، كما زودته تلك القدرة العظمى بعوامل التألق حتى صار البشر الغشيم ( إنساناً ) صالحاً للتكليف ، وحمل الأمانة الإلهية .

وكل ذلك الفرق الهائل بين البشر والإنسان يشى به الاستعمال القرآنى ، وهو فرق ما بين التعريف والتكثير فى هاتين الآيتين من سورة الحجر .

ويرد هذا المعنى إجمالاً للتذكير فى سورة ( الأنعام ) التى جاءت بعد الحجر مباشرة وهى الرابعة والخمسون : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۚ ۖ فَهُوَ ( طين لازب ) ، كما فى السورة التالية مباشرة ( الصافات ) ، غير أن بقية آية الأنعام تتحدث كما رأينا عن ( أجلين ) فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۚ ۖ . وقد كان تحديد المقسود بالأجلين موضع اجتهد المفسرين ، فحصره فى ثلاثة احتمالات :

فإما أن يكون الأجل الأول أجل الموت ، والآخر : القيامة ..

وإما أن يكون الأول : ما بين أن يخلق إلى أن يموت ، والثانى ما بين الموت إلى البعث ( وهو البرزخ ) ..

وقيل الأول : النوم ، والثانى : الموت ، ( الكشاف : ٤ ) .

ونذكر تفسير المنار ( ٢٤٨/٧ ) أن الأجل الثانى هو أجل حياة مجموع

الناس الذى ينقضى بقيام الساعة ، وقيل : الأجل الخاص بكل فرد ، والأجل العام وهو عمر الدنيا .

ونحسب أن هناك احتمالاً غاب عن هذه التقديرات ، وهو أن الأجل الأول ( النكرة ) هو أجل الحياة البشرية السابقة على العهد الإنسانى ، وأما الأجل المسمى : فهو أجل كل فرد من المكلفين ، فالأول مجمل يندمج فيه الكل فى واحد ، والثانى مفصل لكل فرد ، لتعلقه بالمستولية والحساب والمصير . ولا مانع فى نظرنا من إرادة ذلك فى الآية .

ثم تأتى السورة التاسعة والخمسون ( غافر ) فتربط لأول مرة بين التراب والنطفة والعلقة . ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ۚ ۖ . وهنا يذكر المرحلتين مرحلة الخلق من تراب ، ومرحلة الخلق من نطفة ، وهما مرحلتان منفصلتان فى الظاهر ، وقد ربط القرآن بينهما بحرف التراخى ( ثم ) للتعبير عن المسافة الزمنية بينهما .

ويلاحظ أن هذا الموضوع لم يرد له ذكر فى القرآن بعد سورة غافر ، إلا بعد عشر سور .. أى : حتى نزلت سورة ( النحل ) بإشارتها المقتضية : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۚ ۖ . وهى السورة التاسعة والستون ، ثم تنزل السورة الحادية والسبعون ، سورة ( نوح ) وفيها إشارة ذات دلالة تاريخية ومادية معاً ، هى قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۚ ۖ ﴾ [ نوح ] ، فمن الناحية التاريخية قد يراد بالأطوار المراحل الزمنية المتطاولة التى مر بها خلق البشر ، وتقلبهم فى أطوار التسوية والتصوير والنفخة من روح الله : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ ۖ . ومن الناحية المادية : قد يراد بالأطوار ما جاء

بعد ذلك مباشرة من حديث القرآن عن الجنين وأطواره في ( القرآن المكين ) وهو رحم الام ، فحديث سورة ( المؤمنون ) هو بمثابة الإجابة عن سؤال تَجَمَّعَ عن ذكر الأطوار في سورة نوح .. ما هي هذه الأطوار ؟؟ .. فجاء الرد في السورة الرابعة والسبعين ( المؤمنون ) ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ . وكان الآية تدفع عن العقل احتمال إدماج العمليتين في عملية واحدة ، فالإنسان خلق من ( سلالة ) نسلت ( من طين ) ، أى : إنه لم يخلق مباشرة من الطين ، فاما ابن الطين مباشرة فهو ( أول البشر ) ، وكان ذلك منذ ملايين السنين .

وهذا المعنى هو الذى عبرت عنه السورة الخامسة والسبعون ( السجدة ) وهى إضافة مهمة للرد على السؤال المثار عن المقصود بـ ( الأطوار ) في السورة الحادية والسبعين .. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ .. (٩)﴾ [السجدة] .

فخلق الإنسان ( بدأ من طين ) ، أى : عند البداية البشرية ، ثم استخرج الله منه نسلًا ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ ، ثم كانت التسوية ونفخ الروح ، فكان ( الإنسان ) هو الثمرة فى نهاية المطاف .. عبر تلكم الأطوار التاريخية السحيقة العتيقة .

وحسبنا أن نلاحظ هنا ما يشير إلى بعض مراحل التسوية في قوله تعالى في نص سورة السجدة : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ .. (٩)﴾ [السجدة] ، فقد تم هذا الجعل خلال مراحل التسوية ، وهو ما يفترض أن ( البشر ) كان في المراحل الأولى بلا سمع ولا بصر ولا فؤاد ( عقل ) ، تماماً كما هو حال المولود ، حين يخرج

من بطن أمه .. لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل .. لانعدام الحاجة إلى هذه الأدوات في المرحلة الأولى من الوجود ، فكل ما يحتاجه الوليد هو أن تكون له شفتان ، يمتص بهما غذاءه من ثدى أمه ، وبعد فترة - وبالتدريج - يبدأ في استخدام عينيه وأذنيه وعقله في التعامل مع ما حوله من عناصر الحياة ، وهو قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ .. (٧٨)﴾ [النحل] .

لقد خلق الله البشر أطفالاً أو كالأطفال .. بلا أسمع ولا أبصار ولا عقول ، ثم جعل لهم هذه الأدوات في مراحل التسوية المتطاولة ، حين شاءت القدرة أن تزود هذا المخلوق البشرى بما يحتاج إليه من أدوات الكمال .

بيد أن الحديث في السورة الرابعة والسبعين ( المؤمنون ) لم يقتصر على الإشارة التاريخية السابقة .. بل قدم وصفاً ومتابعة لأطوار تكوين الجنين ، وهو إضافة لم تسبق في أى سياق مكى ، فقال سبحانه : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ [المؤمنون] .

لقد مر النص الكريم بالمراحل المختلفة التى تبدأ بالنطفة ، وتنتهى بالإنسان ، فى هذا الإيجاز المحكم الذى يتضمن حقائق الأطوار فى ذلك القرار المكين .. رحم المرأة ، وهكذا عبّر البشر كل الأطوار ، فصار خلقاً آخر : ( إنساناً ) ، ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

وقد نلاحظ هنا أن نص ( السجدة ) يتلاقى مع هذا النص ، مع فارق

الإجمال والتفصيل ، ومع انفراد ( المؤمنون ) بمراحل التكوين الجنيني ، وانفراد ( السجدة ) بمراحل التكوين الطيني .

ويبقى من الوحي المكي ما ورد في السورة الثانية والثمانين (الانفطار) من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (١) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾ [الانفطار] .

وأيضاً ما ورد في السورة الرابعة والثمانين (الروم) من قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٥) ﴾ [الروم] ، وهما تنزيلان وردا في مقام التذكير بقدرة الله ، وهيمته على الإنسان ، ومشيبته المطلقة .. ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ( يخلق ما يشاء ) ، وتنفرد الآية الأولى بمفهوم قوله : ﴿ فَعَدَلَكَ ﴾ ، وهو معنى خاص باختيار الصورة التي يظهر بها الإنسان على الأرض ، بين سائر الناس ذوى الصور المختلفة أيضاً ، ولكل مخلوق صورته المتميزة عن سائر الصور ، وتنفرد الآية الثانية بذكر الضعف والقوة ، وضابطهما من المشيئة الإلهية ، فلا ضعف إلا بمشيئته ، ولا قوة إلا باختياره وإرادته ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ . وبذلك ينتهى الحديث المكي عن خلق الإنسان .

### القرآن المدني

ثم تأتى المرحلة المدنية ، وتبدأ بالسورة السابعة والثمانين ( البقرة ) . فتذكر مرحلة أخرى من مراحل الملحمة الخالدة ، دون أن تذكر ( البشر أو الإنسان ) .. بل هى تركز على ( آدم ) الذى يهيا لوظيفة ( الخلافة ) (البقرة: ٣٠ وما بعدها ) وهو من أجل ذلك يعلم من اللغة ما لم تعلمه

الملائكة ، وسيأتى فى ذلك حديث .

وفى السورة الثامنة والتسعين ( الرحمن ) إشارتان ..

أولاهما : إلى علاقة الإنسان باللغة فى مستواها البياني : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ [الرحمن] .

وثانيهما : مزيد من التعريف بالصلصال الذى ذكر فى السورة المكية ( الحجر ) على أنه : ﴿ صَلْصَالٌ مِنْ حَمَءٍ مُسْنُونٍ ﴾ ، فتصفه بأنه ﴿ صَلْصَالٌ كَالْفَخَّارِ ﴾ ، وذلك فى مقابل أن الجان خلقوا ﴿ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴾ ، كما سبق أن قابل ( الحمأ المسنون ) بـ ( نار السموم ) فى سورة الحجر أيضاً ، وللتكرار هنا فائدة هى مزيد من التعريف بطبيعة المادة التى هى أصل الخلق ، وهى ( الطين اللابز ) كما جاء فى الصافات .

وتبقى فى المرحلة المدنية إشارة سورة ( الإنسان ) ، وهى السورة التاسعة والتسعون ، وقد جاءت فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) ﴾ [الإنسان] .

وهو كما نرى نص يضيف وصفاً تحليلياً للنطفة ، فالأمشاج تطلق على الخلايا الذكرية ، كالحويان المنوى ، وتطلق على الخلايا الانثوية ، كالبيضة أو البويضة ، قبل أن تندمجا لتكوين اللاقحة ( وهى البويضة الملقحة ) التى تكون الجنين<sup>(١)</sup> ، والإنسان خليط من هذه الخلايا ، أو الأمشاج ، وهى حقيقة لم تذكر من قبل فى أى سياق . إلا ما جاء إشارة عامة عن

(١) المعجم الوسيط - مشج .

( الماء المهيّن ) ، و ( الماء الدافق ) من الصلب والخرائب .

وأخيراً تأتي السورة الخامسة بعد المائة : ( الحج ) - لتقدم التقرير النهائي عن قصة الخلق في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج] .

وهي آية تتضمن تفاصيل مهمة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمضغة ، فليست كل مضغة تتحول جنيناً .. بل قد تكون مخلقة ، وقد تكون غير مخلقة ، وكذلك فيما يتعلق بحياة الإنسان : طفلاً ، فبالغاً ، وقد يحين موته أجلاً ، وقد تمتد به الحياة إلى أرذل العمر ، وهي حقائق سبق الإيماء إليها في سورة ( غافر : ٦١ ) ، ولكنها جاءت هنا في خاتمة التقرير عن إمكان البعث ، ودفع الريب فيه من العقول والقلوب ، وتلك هي الغاية التي سبقت من أجلها كل هذه النصوص عن ( خلق البشر - الإنسان ) :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج] .

وأخيراً ، يختم الوحي حديثه بخطاب عام موجه إلى ( الإنسانية ) جمعاء ، من كل الألوان ، والأجناس ، والأصقاع ، تحقيقاً لعموم الرسالة . وتأكيداً لمبدأ المساواة المطلقة بين جميع الناس ، وإعلاناً للقاعدة الإلهية

التي سيتم على أسسها محاسبة الخلائق .. يوم الموقف العظيم .. جاء ذلك في سورة الحجرات ، وهي السورة الثامنة بعد المائة ، في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات] .

إن هذا البيان الإلهي نداء إلى جميع ( الناس ) يذكرهم بوحدة الأصل ، فهم جميعاً قد نسلوا من ذكر وأنثى ، هما آدم وزوجه حواء ، باعتبارهما أول من تألفت فيه صفات ( الإنسان ) من سلالات البشر ، ولا التفات إلى ما سبقهما من السلالات والأجيال ، فهما في الواقع المنبع الذي تدفقت منه جماعات ( الناس ) على هذه الأرض ، من بنى آدم .. أى : من ظهره ، وقد جعلهم الله شعوباً وقبائل ، فهم أصل واحد ، ووجود متنوع ، وعليهم - وقد أدركوا هذه الحقيقة - أن يتعارفوا بحكم ما بينهم من قرابة ، فلا فضل لأحد منهم على غيره من شركائه في الأصل بأى اعتبار مادي ، وإنما يتفاضلون عند الله بالتزامهم لأوامره ، واجتنابهم لمحارمه ، وطاعتهم المطلقة له ، وبعبارة أوضح : ألا يأكلوا من الشجرة التي حرمها عليهم : شجرة المعصية التي حرمت على أبويهم في الجنة ، وهي محرمة عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

## الفصل الثامن

### الطريق إلى الجنة

#### ملاحظات على العلاقة بين البشر والإنسان :

حقيقة لا ريب لدينا فيها : هي أن بين ( البشر والإنسان ) عموماً وخصوصاً مطلقاً ، فـ ( البشر ) لفظ عام في كل مخلوق ظهر على سطح الأرض ، يسير على قدمين ، منتصب القامة ، و ( الإنسان ) لفظ خاص بكل من كان من البشر مكلفاً بمعرفة الله وعبادته ، فكل إنسان بشر ، وليس كل بشر إنساناً . والمقصود هو طبعاً المعنى الأول الذي استعملت فيه الكلمة ( بشر ) في آيات القرآن ، وهو الظاهر أو المتحرك مع حسن وجمال .

وقد جاءت في القرآن كلمة أعم من : البشر والإنسان ، وهي كلمة ( الأنام ) ، وتعني كل مخلوق على ظهر الأرض ، عاقلاً أو غير عاقل ، وإن كان المفسرون يرون أن الكلمة تعني في قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ [الرحمن] : الجن والإنس ، وهما الثقلان المخاطبان ، كما هو وارد في هذه السورة المدنية .

وجاء أيضاً في سورة ( البينة ) ، وهي سورة مدنية ، وهي السورة الحادية بعد المائة نزولاً - إطلاق لفظة ( البرية ) على ( الخلق ) ، والجمع : برايا ، قال الله سبحانه وتعالى في وصف الكافرين والمشركين :

﴿أَوَلَيْكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة] ، وقال فى وصف المؤمنين :

﴿أَوَلَيْكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة] .

ونستطيع أن نقرر مع علماء الإنسان ( الأنثروبولوجيين ) أن الأرض عرفت هذا الخلق الذى ظهر على سطحها منذ ملايين السنين ، تختلف فى تقديرات العلم باختلاف عمر الأحافير ، ونتائج التحليلات العلمية . وقد أطلق العلماء على هذا المخلوق خطأ أو تجاوزاً لقب : ( إنسان ) ، فقالوا : إنسان بكين ، أو إنسان جاوة ، أو إنسان كينيا ، أو ما سوى ذلك من الإطلاقات التى تعنى مراحل تكوين ( البشر ) بإطلاق القرآن ، واستخدام كلمة ( إنسان ) فى وصف هؤلاء ليس إلا على سبيل التوسع ، كما استخدمت كلمة ( بشر ) للدلالة على معنى ( الإنسان ) توسعاً أيضاً ، وإلا فاللفظ الدقيق بلغة القرآن ، والذى ينبغى أن يستخدم فى تسمية تلك المخلوقات العتيقة التى تدل عليها الأحافير - هو ( البشر ) ، فواجب أن يقال : بشر بكين ، وبشر جاوة ، وبشر كينيا ، وبشر الفيناندارتال .. الخ .

أما ( الإنسان ) فلا يطلق بمفهوم القرآن إلا على ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير ، وهو الذى يبدأ بوجود آدم عليه السلام ، وآدم - على هذا - هو ( أبو الإنسان ) ، وليس ( أبو البشر ) ، ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله ، تمهيداً لظهور ذلك النسل الأدمى الجديد . اللهم إلا تلك العلاقة العامة أو التذكارية ، باعتباره من نسلهم .

ولامر ما وجدنا أن القرآن لا يخاطب البشر .. بل يخاطب الإنسان ، والتكليف الدينى منوط بصفة ( الإنسانية ) ، لا بصفة ( البشرية ) ، فلم يعد للبشر القديم وجود منذ ظهر آدم عليه السلام ، وتناسلت ذريته . وورثت الأرض وما عليها .

ولامر ما أيضاً وجدنا أن كلمة ( البشر ) جامدة لا تتصرف ، اللهم إلا بالتثنية والجمع فى قليل الاستعمال ، على حين أن كلمة ( إنسان ) متصرفة مرنة ، وردت فى القرآن بصور مختلفة ، وهى مفرد ، جمعه : أناسين ، وأناسى ، وقد استعمل مصغراً فقليل : أنيسيان ، والإنس : اسم جماعة الناس ، والجمع أناس ، والواحد : إنسى .

والناس : اسم جمع من النوس ، وهو الحركة .. واحده : إنسان من غير لفظه ، ويقال للمرأة إنسان ، ولا يقال : إنسانة ، وإن شاعت على السنة العامة . وكل ذلك أكسب الكلمة مرونة فى الاستعمال .

وليس يبعد أن نفترض أن الخالق سبحانه - وقد مضت مشيئته بتفرد آدم وذريته بالسيادة على الأرض ، والنهوض بأمر الدين ، وإقامة التكليف ، وفى مقدمتها التوحيد - قَدَّرَ سبحانه فناء كل البشر ، من غير ولد آدم ، وذلك بعد عزل السلالة الجديدة المنتفخة فى الجنة ، حتى تتم إبادة جماعات الهمج البشرية ، لتبدأ بعد ذلك الملحمة الإنسانية ، بطليعتها المصطفاة : آدم وحواء ، وبدأ التكليف داخل الجنة ، وبدأ الصراع بعد أن أخليت ساحته من العناصر الطفيلية التى لم يعد لها دور .. بل التى انتهت دورها ، ليبدأ على الأرض دور جديد .. لكن ! كيف بدأ هذا الدور ؟ .. أو كيف استهل ذلك العهد ؟

ذلك ما لا سبيل إلى تصويره إلا من خلال الكلمات المجردة ، ولا نور أيضاً للخيال فى رسم صورته إلا من خلال الإيمان المطلق بعالم الغيب . فذلكم مشهد غيبى تم قبل الزمان الإنسانى بزمان إلهى ، حين بأن يكون الكون .. فكان .. كأن كل ما كان ، وكل ما يكون !





السُّنَّةُ كَالسُّنَّةِ ، وألف سنة ، أو حتى مليون سنة - كيوم واحد ، لا معنى لبدايته أو نهايته ، ولا وظيفة له وقد عدم موضوعه ، ومن المعروف أن بعض الكائنات التي عاشت في الكهوف المظلمة فقدت قدرتها على الإبصار، إذ كانت الحياة بالنسبة إليها ظلاماً في ظلام .

وقد عشنا في حياتنا تجربة تقرب إلينا هذا المعنى ، حين ساقطنا الظروف التعيسة إلى محبس ( زنزاة ) في الاعتقال السياسي ( عام ١٩٥٥ ) .. كانت زنزاة مظلمة .. لم تكن ندرى فيها مرور الأيام ، ولا حدود الشهور ، فقد تساوى الليل والنهار ، وضاعت المعالم والآثار .

وبين أيدينا شواهد قرآنية على صواب ما نذهب إليه : ذلك أن قصة الخلق التي جاءت في سورة ( صر ) تعطينا الإشارة الأولى إلى الدليل على تمادى العهود التي عاشتها البشرية في ظلام الزمن السحيق ، أو في زنزاة ذاك الزمن .. يقول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ [ص] ، وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا ( البشر ) هو ( آدم ) عليه السلام ، وأن الله سبحانه وتعالى كَفَّ بعض ملائكته أن يجمعوا له من تراب الأرض ، من جميع أخلاطه وألوانه . كما ذكرت الروايات الواردة في الطبري ، نقلاً عن الإسرائيليات . ونقل عنه من جاء بعده ، وأن الله خلق هذا البشر ، وسواه ، ونفخ فيه من روحه ، فكان آدم الذي أسجدت له الملائكة .

والواقع الذي عبّرت عنه الآيتان - في نظرنا - هو أن الله سبحانه خلق ( أو أراد خلق ) البشر من الطين . وأخبر ملائكته بهذا الخير ، أو الإرادة

العلوية : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا ﴾ . وهذه هي المرحلة الأولى في بداية الخلق الإلهي . وكلمة ( البشر ) هنا لا تعنى فرداً واحداً ، بل هي - بحسب الأصل - تطلق على أكثر من واحد ، لدالتها على الجنس ، وقد حدد القرآن الصورة الأولى لخلق الكائنات بأنها خلقت أزواجاً ، فقال سبحانه : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) ﴾ [النبا] . وذلك انطلاقاً من الأرض : ﴿ وَاللَّهُ أُنْتَبِهُكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (٧٧) ﴾ [نوح] ، فمن الأرض كان انطلاق الحياة في شكل أزواج متنوعة : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) ﴾ [الذاريات] ﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ .. (٢) ﴾ [الرعد] .

### البرهان اللغوي

وتأتى بعد ذلك مرحلتان في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ وهي آية مصدرة بأداة ظرفية زمانية هي ( إذا ) ، وهي ظرف لما يستقبل من الزمان ، ويمكن أن يكون هذا الزمان لحظة ، كما يمكن أن يكون دهماً طويلاً ، والقدرة التي تنجز هذا الخلق هي القدرة التي تقول للشيء ( كن فيكون ) ، أي : القدرة الكُنْيَةُ التي لا يحكمها الزمان ولا المكان .. بل هي التي خلقت الزمان والمكان ، ونحسب أن استخدام ( إذا ) في هذا السياق لا يبعد عن أن يراد به ملايين السنين بحسب الزمان الدنيوى ، وإن كانت هذه الملايين لا تعدو أن تكون أياماً معدودة في حساب الزمن الإلهي ، كما أنها مرت مجرد كتلة في ظلام دائم ، لم تلمع خلاله أشعة العقل ، ولا أضواء المعرفة .

وقد استخدمت ( إذا ) في القرآن للدلالة على المستقبل القريب والمستقبل البعيد سواء ، فبقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ

(١٨) ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير] ، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار] ، و ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النفخة] .. تتراخى في هذه الآيات مساحة الظرف إلى ما شاء الله ، وهو استخدام قرآني مستقبلي .. تحسب أبعاده بالسنين المعروفة لنا ، فاما إذا عبرت عن المستقبل في داخل الماضي السحيق فتلك هي المشكلة التي يستحيل حسابها ، ومن هذا القبيل تأتي ( إذا ) في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ظرفاً زمنياً تعبيراً عن إرادة أزلية تمضي في تحققها عبر ملايين السنين ، تسوى ذلك المخلوق ، وهو جنس ( البشر ) ، ثم تزوده بنفخة الله الروحية ليكون عندئذ ( الإنسان ) الذي تسجد له الملائكة ، الإنسان الذي يدخل بوابة الزمن ، ويبدأ حضوره وحضارته .

ومعنى ذلك أن خلق الإنسان تم عبر ثلاث مراحل هائلة ، هي ( الخلق ، والتسوية ، والنفخ ) ، ومن السذاجة أن نفسر هذا النفخ بأنه بث الروح في الجسد ، فقد حدث ذلك في مرحلة ( الخلق ) الأولى ، التي أحالت التراب أو الطين إلى مخلوق ظاهر ( بشر ) يتحرك على الأرض بالروح الحيواني ، كما تتحرك سائر الكائنات من حشر ، وطيور وحيوان . ثم تناولت القدرة ذلك المخلوق في المرحلة الثانية ( بالتسوية ) أو ما يمكن تشبيهه بهندسة البناء وتجميله ، وهي مرحلة التعديل المادي أو الظاهري . وقد استغرقت ملايين السنين ، والله أعلم بتفاصيلها ، ثم جاءت المرحلة الثالثة للهندسة الداخلية ، وهي المتمثلة في تزويد المخلوق السوي

بالملاكات والقدرات العليا ، التي جوهرها ( العقل ) ، والحياة الاجتماعية ثمرة العقل ، واللغة وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع من العقلاء ، وبذلك اكتمل بناء ( الإنسان ) ، فكان ( آدم ) هو أول ( إنسان ) ، وطليلة سلالة التكليف بتوحيد الله وعبادته .

ومما يستدل به على هذه المراحل وتكاملها استعمال القرآن لأداة التراخي ( ثم ) في ربط أجزاء الجملة في سورة السجدة ، مثلاً في قوله تعالى : ﴿وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ .. (٩) [السجدة] ، والأداة ( ثم ) للتقريب مع التراخي ، وكان استعمالها في هذا السياق ترجمة لمفهوم الزمان المتطاوّل الذي عبر عنه الظرف ( إذا ) ، في مقابل استخدام الفاء أو الواو في ربط أجزاء أخرى من الآيات ، تعبيراً عن التعقيب أو مطلق الجمع<sup>(١)</sup> .

بل إن هذا التراخي يتجلى في سورة ( المؤمنون ) في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قُرَارٍ مَّكِينٍ (١٤) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّفُثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ .. (١٥) [المؤمنون] ، ولستأمل استعمال ( ثم ) في الآيات . بجانب استعمال ( الفاء ) ، فبين ( لخلق ) من الطين و ( الجعل ) ﴿نَفْثَةً فِي قُرَارٍ مَّكِينٍ﴾ - مسافة زمنية ، لا يعلمها إلا الله ، استغرقتها عمليات التسوية ، وهذا ( الجعل ) تعبير عن جانب من استكمال ( الخلق ) ، ثم تكون النطفة علقة ، ولعل تقدير ذلك تم في زمان متطاوّل أيضاً .

(١) التعقيب تعبير عن تتابع الأحداث ، بعضها في إثر بعض دون فاصل طويل من الزمن . وهو وظيفة ( الفاء ) ، ومطلق الجمع هو وظيفة ( الواو ) فهي لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً

وتذكر الآية بعد ذلك عمليات تخليق الجنين ، وهي عمليات متتابعة لا يفصل بينها سوى أشهر أو أيام معدودات .. زمن قصير نسبياً .. بين العلقه والمضغة ، وبين المضغة والعظام ، وبين العظام واللحم ، وذلك كله معطوف بالفاء ، ويعود السياق بعد ذلك إلى استخدام ( ثم ) للتعبير عن طول الفترة الزمنية بين ما سبق ، وما سوف يأتي بعد : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ . والمعنى التاريخي لإنشاء هذا الخلق هو النقلة من البشر إلى الإنسان ، وهو خلق آخر فعلاً ، إلى جانب احتمال أن يكون المراد هو المولود الجديد .

ويعمضى السياق ملتزماً بنفس الإيقاع البطيء : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (٥٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿ [المؤمن] . لقد عبرت ( ثم ) في الآيتين الأخيرتين عن زمن طويل . هو في الآية الأولى ( عمر الإنسان ) الذي يعينه حتى الموت ، الذي يضع نهاية للحياة المقدورة لذلك الكائن ، وهو في الآية الثانية مدة ما بيننا وبين القيامة والبعث .

ولنقرأ أخيراً آية الاعراف ، قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ .. ﴾ [الاعراف] . وهي آية تعبر عن مرحلتين هما : ( الخلق والتصوير ) ، وبينهما فيما نتصور آماد هائلة ، تعبر عنها الأداة ( ثم ) ، ويعطف القرآن خطاب الله سبحانه للملائكة باستخدام ( ثم ) ، وهو في رأينا تعبير عن أن الأمر بالسجود لم يكن بعد مرحلة التصوير مباشرة ، وهو ما يعنى مرحلة التسوية .. بل جاءت قبله مرحلة ( النفخ من روح الله ) ، وقد أومأ إليها استخدام ( ثم ) في صدر الجملة ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ . دون أن يصرح بها ، لأنه لا سجود إلا لمن زود بروح الله .

وبرغم ذلك قد يعبر النص القرآني عما شأنه التراخي - بالفاء ، فهو

يضمنها معنى ( ثم ) ، أو بتعبير أدق : يوظفها في موقع ( ثم ) ، كما جاء في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار] ، وقد يسوغ هذا التضمن أن المخاطب - وهو الإنسان - لا يرى في ذاته سوى مخلوق مكتمل ، خلقاً وتسوية ، وعدلاً ، فهو يرى اندماج هذه المراحل في ذاته ، ولذلك لاق أن يضمن ( الفاء ) معنى ( ثم ) المتراخية .

وقد تفسر هذه المراحل في سورة الانفطار على أنها خاصة بأحوال الجنين في بطن أمه ، كما يقول الإمام القرطبي : ( خَلَقَكَ .. أى : قدر خَلَقَكَ من نطفة ، فسَوَّاكَ : فى بطن أمك ، وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك ، فعَدَلَكَ .. أى : جعلك معتدلاً سوى الخلق .. وقرأ الكوفيون : عاصم وحمزة والكسائي : فَعَدَلَكَ .. مَخْفَفًا ، أى : أمالك وصرفك إلى أى صورة شاء ، إما حسناً وإما قبيحاً ، وإما طويلاً وإما قصيراً ) .

ولسنا مع هذا التوجيه ، مع أنه يحل مشكلة التراخي مع الفاء ، لأن الأسلوب القرآني درج على استخدام كلمات الخلق والتسوية والنفخ - خاصة بأحوال البشر منذ وجدوا ، إلى أن صار البشر سوياً .. أى : إنساناً اصطفاة الله ، وناط به تحقيق رسالة العبودية لله رب العالمين .

ترى : كم من الأجيال البشرية لزم لعمليتي التسوية ، والنفخ ، حتى كان آدم ذلك الإنسان الكامل الناطق ؟!

لا نبالغ إذا قلنا : إن ذلك اقتضى مئات الألوف من الأجيال ، وقد سجل كل جيل بصمته المتميزة ، على طريق الاكتمال ، ولا سيما فى مجال العقل ، واللسان ، والجمال .

## الفصل التاسع

### برهان التكرار

#### الإنسان مرة أخرى

وضح لنا مما سبق أن ( الإنسان ) هو المقصود من التكليف الديني ، وأن ( البشر ) وهم طلائع الخليقة ، لا مكان لهم في عالمنا ، لأنهم بادوا ، ودرست آثارهم ، فلم تبق منهم سوى أحاديث وأحافير تدل على أنهم كانوا موجودين ، منذ عصور جيولوجية متقدمة ، فلما قضت إرادة الله بإيجاد هذا الخلق الإنساني - قدر خلق آدم ، وهو مستوى خاص جداً من ( البشر ) ، مزود بأدوات كاملة من العقل واللغة والعاطفة ، وملكات الإدراك والضمير ، والإرادة ، والاستعدادات الفطرية والغريزية ، للترقية بين الخير والشر ، وكل ذلك ثمرة من ثمرات النفخة الإلهية التي أتم الله بها خلقه ، وهياه ليعيش في ضوء المعايير الدينية التي أرسل بها الأنبياء ، منذ آدم إلى محمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران]

ومقتضى ذلك أن النوع البشري قد انقرض ليحل محله رتبة أرقى هي رتبة ( الإنسان ) باعتباره الطور المحسن من أطوار البشر ، والجيل المختار للمسيرة الجديدة على طريق التوحيد ومعرفة الله ، ثم أطلق على

المراد هذه الرتبة بنو آدم .

ولقد نجد في القرآن دليلاً قاطعاً على صحة هذا المذهب ، حين نجد مصنفياً بالإنسان متابعاً لوصف كل أحواله ، في ثلاثة وثلاثين موضعاً ، على حين أنه لم يذكر ( البشر ) بوصف واحد ، وهو سلوك واضح الدلالة على صدق التفرقة بين المستويين . ولننظر الآن إلى نصوص القرآن الواردة بشأن الإنسان ، بحسب ورودها في ترتيب المصحف :

قال تعالى

١ - ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء)

٢ - ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنَّةٍ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُفْسِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (يونس)

٣ - ﴿وَلَقَدْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ﴾ (مؤ.)

٤ - ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يوسف)

٥ - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم)

٦ - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (النحل)

٧ - ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء)

٨ - ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (الإسراء)

٩ - ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء)

١٠ - ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء)

١١ - ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف)

١٢ - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ..﴾ (الأنبياء)

١٣ - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (الحج)

١٤ - ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان)

١٥ - ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب)

١٦ - ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (يس)

١٧ - ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ..﴾ (الزمر)

١٨ - ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ بَشْعَةٌ ..﴾ (الزمر)

١٩ - ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (فصلت)

٢٠ - ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت)

٢١ - ﴿إِنْ تَصْبِرْهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (الشورى)

٢٢ - ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (الزخرف)









# الباب الثاني

وقائع القصة

## الفصل الأول

### البشر واللغة

كانت اللغة هي معجزة الخلق التي أثمرها تزويد المخلوق البشري بالملكات العليا ، وفي قمته : العقل ... وإذا كان البشر قد عاشوا ملايين السنين حتى تتم عملية التسوية ، والتفخ الإلهي - فإن من أخطر مظاهر الكمال الخلق أن يدرك الأفراد معنى العلاقات المتبادلة فيما بينهم ، وهي علاقات لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال اللغة ، ونحن نستخدم ( اللغة ) هنا بالمفهوم العام الذي يشمل الجاذبية الجنسية ، وهي أقدم لغة وصلت ما بين طرفي النوع البشري من أول لحظة ، كما يشمل الدفاع والاحتكاك المادي ، والإشارة والصوت المبهم .. إلخ ، وعلى طريق النضج البشري بدأت الجوارح تصل ما بين الفرد والفرد ، وما بين الذكر والأنثى ، ونحسب أن صوت الجنس كان أقدم الأصوات التي صدرت عن البشر أو صرخوا بها .

كما بدأت وظائف الجوارح تتحدد في سلوكيات مادية ، قابلة للترقي والتطور والتنويع ، وما أشبه البشر آنذاك - والزمان طفل لم يتجاوز بضعة ملايين من السنين - بأطفالنا الآن في أيامهم الأولى ، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة : **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴿ [النحل]**

ومن المسلم به علمياً أن وجود البشر كان مسبقاً بوجود الكائنات الأخرى من الطير والحيوان في البر والبحر ، وكانت هذه تشكل عالماً من الكائنات بأشكالها وأنواعها ، كما كان لها تأثير مباشر على الوجود البشري ، فمنها كان قوت البشر ووسائل عملهم .. بل تولى بعض الطيور مهمة تعليم هذا المخلوق ما هو بحاجة إليه من سلوكيات ، ودور الغراب في قصة ابنى تيم ذو دلالة ظاهرة في هذا المجال : ﴿ قَبِعْتُ اللَّهَ غُرَابًا يَنْحُثُ فِي الْأَرْضِ يُبْرِئُهُ كَيْفَ يُوَارِي سُوءَ أَخِيهِ .. ﴾ [المائدة : ٣١] ، أى : إن الإنسان في مطلع فجره لم يكن يدفن جثث الموتى من جنسه ، حتى شاهد - وهو في قمة مأساته - الغراب يلقنه درس الدفن ، بعدما بلغ سن الرشد ، ودخل في المرحلة الآدمية الجديدة ، ولا يبعد أن نتصور أن البشر كانوا في بداية وجودهم ، وقبل رشدهم يتأكلون ويتفارسون .. أى : يأكل بعضهم بعضاً .

وإننا تصورنا حياة الصدام ، والصراع بين البشر وسائر أجناس الخلق - فإن ذلك يعنى أن العلاقات بين الموجودات والبشر كانت هي القوت اليومي ، بوجبهيا : السلبى والإيجابى .

وقد كانت هذه العلاقات تتنامى دائماً ، كما وكيفاً .. وهى تحدث بصداقتها ، وتحفر في العقل البشرى آثارها ، وكان البشر قد ميزوا بالفرق - أى : بالعقل - وهو ما يعنى أنهم كانوا قادرين على الاحتفاظ بالتجربة في ذاكرتهم . ثم صاروا يفيدون من رصيد التجارب المتراكمة في حركة ، وفى صوت

لقد كانت للطير أو لحيوان طريقته التى لا تتغير فى التعامل مع جنسه وغير جنسه ، ولكنه يأتى من ذلك ما يوصف بالتلقائية الأبدية .

والثبات الغريزى المتواصل عبر ملايين السنين ، وإن حدث تغير أحياناً فى الشكل ، أما رصيد التجارب البشرية فقد كان فى نمو دائم ، وتغير مستمر ، رغبة فى تحسين الأداء ، وتمكين الجنس البشرى من السيطرة على سائر الأجناس ، ومن هنا كان التوجه إلى استخدام الأدوات الحجرية لمضاعفة القدرة ، وتأمين السيطرة .. هذا فى جانب الحركة .

فأما فى جانب الصوت فقد كان أغزر مادة ، وأكثر حدوثاً إذ كانت الضوضاء - وما زالت - هى غذاء الحياة وقوتها ، ودليلها ، سواء صدرت الضوضاء عن البشر ، أم صدرت عن المادة المتعلقة بالحركة ، وليس بوسع مخلوق أن يأتى بحركة إلا مقترنة بصوت ، ينبعث من أثر احتكاك المادة بعضها ببعض ، أو يصدر عن الإنسان ، وهو يتعامل معها ، ثم يتحول الصوت إلى مقطع ، ثم إلى كلمة ، ثم إلى درجات من التركيب المتنوع ، ثم تتطور هذه الحالة التى اقترن فيها الصوت بالحركة ، ليصدر الصوت مستقلاً عن الحركة ، وقد يكون فى هذا الحال مجرد صوت ، وقد يرتبط بهدف حيوى ، أو تعبير عاطفى ، وهكذا نشأت اللغة البشرية ، مع التجاوز البالغ عن تفاصيل كثيرة .. كثيرة جداً تتعلق بأوعية الزمان والمكان ، واحتمالات الفعل والترك ، والإيجاب والسلب ، والعطاء والمنع ، والذكاء والغباء ، والتناقض والاستواء .. الخ .

ولا شك أن البشر كانوا محوطين بأصوات أخرى تصدر عن الطيور والحيوانات ، ولهم من دون الخلائق جميعاً قدرة على تقليد الأصوات ، ونادر من الطيور ما عرف بتقليد الأصوات ( البيغاء ) ، أما الإنسان فقد لذ له دائماً التخاطب مع تلك الكائنات ، أو التجاوب معها من باب التسلية أو الترويض ، وقد لاحظ أولئك البشر أن لكل كائن نوعاً من الضوضاء

يستخدمه في قيادة القطيع ، أو نداء الانثى ، أو تحذير الصغار ، أو مواجهة الأخطار ، فلم لا يكونون كذلك ، وهم يملكون قدرة هائلة على التنويع . وهم - كذلك - يعقلون المعنى الوظيفي للصوت حين ينطلق بوجه من الوجوه ، ولم لا يكون تعاملهم مع هذه الكائنات من قناة اللغة ، بحيث يضعون لها أسماء تميزها عند التعامل معها .

هكذا تخلقت اللغة خلال ملايين السنين ، حتى صارت مكونة من أصوات متشخصة ، وكلمات متخصصة ، وحتى أصبحت تضم الألوف من الكلمات .. بل حتى تنوعت فبلغت عدة اللغات أكثر من ألفي لغة ينطقها الإنسان الآن ، وكلها مبنية على عدد محدود من الأصوات هو غاية ما يصدره جهاز النطق ، لا يزيد ولا يتنوع .

لقد أُلِّح كثير من الباحثين عن أصل اللغة ، فمن قائل : إنها من وحى الله .. نزل على بعض عباده من الأنبياء ، كآدم ، وإسماعيل !! وللجاحظ هنا مقولة : إن الله فتق لسان إسماعيل بالعربية على غير مثال سبق ( مختارات فصول الجاحظ مخطوط بدار الكتب ) .

وقائل : إنها مواضعة حدثت لكل شيء اسمه المتفق عليه - وهو قول ابن جنى في ( الخصائص ١/ ٤٤ ) .

وقائل : إنها محاكاة لأصوات الطبيعة !!

وقائل : إنها نتيجة انفعالات تعرض لها الإنسان !!

وتصور أستاذات الدكتور إبراهيم أنيس - رحمة الله عليه - ( أن الكلمات الإنسانية انما نشأت كانت كثيرة المبني ، قليلة المعنى ، فالمجتمع جماعة من الشباب يمرحون . ويلعبون ، ويستمتعون بالنطق ، دون هدف معين

سوى المتعة واللعب بالسنتهم ، كما كانوا يلعبون بأيديهم وأرجلهم ، أي : إن اللغة نشأت في صورة لعب ممتع ، لا يهدف إلى إيصال معنى إلى السامع .. بل كانت أشبه بمنغاة الطفل وأصواته المبهمة .. فلم يكن الإنسان الأول معنياً بالأفكار ، ولكن عنايته كانت مقصورة على الغرائز والعواطف ، ولعل الحب والغريزة الجنسية أقوى هذه العواطف ، فهو ينطق أو يصوت ليستلفت انتباه الأليف ، ويثبت وجوده واستقلاله ، كالطير حين ينتقل من فنن إلى فنن ، وهو يغني غناءً متواصلاً ، لعله بهذا ينال الحظوة لدى أليفه من الطيور .

كذلك كان الإنسان الأول يغني في أثناء صيده ، وفي حربه ، وفي كل ما يقوم به .. غناءً لا كغنائنا - يهدف إلى الطرب - وإنما هو تصويت متسجم تتردد فيه الأصوات والمقاطع .

ثم تطور هذا النطق من مجرد اللعب والمتعة ، وأصبح ذا هدف فيما بعد ، واستغل في التعبير عن كل ما يدور بخلد الإنسان من خير أو شر<sup>(١)</sup> .

والواقع أن كل افتراض لتفسير نشأة اللغة له نصيب ، ولو ضئيل ، من الصواب ، فكل الآراء تجتمع لتتسج ثوب اللغة في صورة مكتملة ، غير أنها جميعاً وقعت في خطأ مشترك هو خلطها بين البشر والإنسان من ناحية ، وتصورها أن اهتداء الإنسان للغة كان خلال الفترة الزمنية القريبة التي عاشها الإنسان منذ آدم عليه السلام باعتباره أول المخلوقات من ناحية أخرى .

(١) دلالة الألفاظ صفحة ٢٢ وما بعدها



الباب وقد عرف جنسهما ، أو نقطة ضعفهما ، فقاسمهما : ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ (٢٦) فدلّاهما بغرور .. ﴿[الامراء]

إننا لا نشك في أن آدم قد صنع على عين الله ، وأنه ظفر برعاية ربانية استثنائية جعلته في ذاته معجزة إلهية ، وكان آدم بذلك مدداً للمرحلة القادمة التي بدأت به مع زوجته حواء ، ومن خلال آدم بدأت الإنسانية مسيرتها بخضوات قاصدة راشدة ، على حين بادت الموجودات البشرية الطليقة الشاردة تبدأ المرحلة الجديدة .. مرحلة التكليف الديني .. بعبادة الإله الخالق الواحد ، بعد أن تم للإنسان التعرف على الكون من حوله ، من خلال الأسماء التي تحدد وجود كل شيء والتي أعانته الله سبحانه على استيعابها .

ونعود إلى حديث اللغة فنقول :

لقد اقترنت نشأة اللغة بمجموعة هائلة من الصدق العشوائية ، بجل حصرها ، وكان استرق البشرى أشبه بطفل جلس إلى جهاز كمبيوتر<sup>(١)</sup> ضخّم ذي مفاتيح كثيرة كثيرة ، فاخذ الطفل في البداية يلمس هذه المفاتيح ، ويرقب أثر حساته ، وكلما وجد أثراً على شاشة الجهاز كرر اللمس ليستمتع به أو يغيره ، حتى تكونت بينه وبين الجهاز لغة أغرته بالمزيد ، فمضى يستمتع بحبراته المثبتة نتيجة التكرار ، ويبني تجارب أخرى مركبة من تدريجه البسيطة ، إلى أن سيطر على الجهاز مع تقدمه في العمر ، وصار - خبيراً - فكذلك الإنسان الذي ورث التراث البشري وتألقت في شخصه كبرياء البشرية ، وزاده الله مدداً وتعليماً ، فكان آدم عليه السلام مدبراً لأولى لبده عهد جديد ، هو عهد الإنسان .. آدم وبنيه .

(١) الكمبيوتر - نعت حاسوب - حاسوب - من كلمة كمبيوتر

وبقى سؤال لم يطرحه أحد ممن تناولوا هذه القصة في القديم والحديث ، وهو : من أين جاءت تسمية آدم ؟

والاسم رمز المسمى ! فهل يمكن أن يطلق على آدم هذا الاسم دون أن تكون البشرية قد قطعت شوطاً هائلاً في الرقي اللغوي قبل مرحلة الإنسانية الأدمية ؟ وإذا قرأنا قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (٢٦) - [البقرة] - فهل لا يوحى منطوق الآية على هذا النحو بأن الساحة كانت حافلة بأسماء كثيرة لموجودات مادية ، أو أسماء لمعان مجردة ، وأن حصيلة ذلك كانت في عقل آدم ؟ أو استطاع آدم أن يحصلها !! قد يقول قائل : إن اسم ( آدم ) هو اختيار الله ، أطلقه على أول خليفة في الأرض !!

ولكن التناسب الذي نجده بين الاسم والمسمى .. أي : بين معنى كلمة ( آدم ) والمادة التي ينتمي إليها وهي ( أديم الأرض ) - هذا التناسب لا يمكن أن يتصور حدوثه على سبيل الصدفة أو الفجاءة ، فالفجاءة خروج على سنة الله في الخلق والتسوية والإبداع ، وهو آيات العظمة الإلهية ودلائلها . فلم يبق إلا أن نفترض مستوى من النضج اللغوي بلغته البشرية في أواخر مرحلتها ، وفي بواكير العهد الإنساني ، وهو ما يعني أن العربية قديمة .. قدم التاريخ الإنساني على هذه الأرض .. على الأقل .

لقد زعم العبرانيون أن لغتهم هي أقدم اللغات وأصلها وهو ما لم يسلم به أحد من علماء اللغات لانعدام الدليل على صحة مقولتهم ، أما نحن فنرى - انطلاقاً من ملاحظتنا السابقة - أن العربية هي الأصل والأقدم ، ولذا كان اختيار الله لها في كل ما دار من حوار جرت به أحداث هذه القصة .

## الفصل الثانى

### الإنسان والملائكة

الملائكة عالم من عوالم الكون التى برأها الله ، خلقهم من مادة النور ، بهذا جاء الحديث الشريف برواية أحمد ومسلم رضى الله عنهما : ( خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق الإنسان مما وصف لكم ) ، وليس بلازم أن نبحث فى ماهية هذا النور ، وهل هو النور الذى نألفه من مصدر كالقمر ، أو الضوء الذى عهدناه من مصدر الشمس ، أو هو نور آخر مختلف العناصر والأطراف لا ندري كنهه ؟ ويكفى أن نذكر قياساً يَقِفْنَا عند حدود أقدارنا ، فقد خلقنا الله من تراب ، وشتان ما بين هذا التراب واللحم الأدمى فى الشكل ، وإن اتحدت عناصرهما عند التحليل ، فالمسافة هائلة لا يمكن للعقل أن يقطعها ، وكذلك الملائكة .. هم من النور ، ومع ذلك نتصور أن هيئتهم التى خلقوا عليها بعيدة جداً عن مادة النور التى نألفها ، وكل ما نملكه هو أن نؤمن بهم كما أخبر الله عنهم ، وكما طلب منا الإيمان بهم ، فهم ملائكة الله وجنده ، وهم جزء من عالم الغيب الذى حجب عنا حقيقته ، واستحالت علينا رؤيته ، ولعلنا نتذكر هنا أن البشر قد كانوا فى أقدار الخلق هم العالم الظاهر ، فى مقابل العالمين المخلوقين الخفيين : عالم الملائكة وعالم الجن ، وما شاء الله من خلق لا نعلمه .

ونحن من خلال الدين ندرك الدور الذى تؤديه الملائكة فى عالمنا







## الفصل الثالث

### السجود للنبي الإنسان

ورد موضوع السجود لآدم في سبع صور من القرآن ، هي بترتيب النزول

١ - السورة السابعة والثلاثون (ص) ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿ ٧٤ ﴾ [ص]

٢ - السورة الثامنة والثلاثون (الأعراف) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (١١) [الأعراف]

٣ - السورة الرابعة والأربعون (طه) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ (١١٦) [طه]

٤ - السورة التاسعة والأربعون (الإسراء) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ﴾ (٦١) [الإسراء]

٥ - السورة الثالثة والخمسون (الحجر) ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿ ٣١ ﴾ [الحجر]

٦ - السورة الثامنة والستون (الكهف) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ .. ﴾ (٥٠) [الكهف]

بدا متالفاً في الحوار الذي دار بين ابنه متضمناً كل المفاهيم التوحيدية ، وامهات الاخلاق الدينية ، وتكم هي الاسماء التي تعلمها آدم عن ربه . ولا يخفى حرص القرآن على أن يؤكد أنه تعلم ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ، فلعل آدم كان يعرف بعض الاسماء فتولى الله سبحانه تعليمه كل الاسماء ، فيما يتصل بالمهمة التي سينهض بها ، خليفة في الأرض ، ومن بين الاسماء التي تعلمها أسماء الملائكة المشاركين في هذا الحوار ، وقد تضمن القرآن بعض هذه الاسماء فتعلمها المؤمنون من الوحي .

كان اصطفاء آدم للرسالة الإنسانية الأولى غيباً محجوباً عن الملائكة . لا يعلمه إلا رب العزة ، وكانت الاسماء التي تعلمها متعلقة بالامانة التي ناطها الله بآدم وذريته ، وهو ما لم تعلمه الملائكة من قبل .. إنها بداية عهد جديد ، وإشراقة جيل الإنسان على نقاض الزكام البشري ، وحين عرض سبحانه هذه المضامين على الملائكة ﴿ فَقَالَ أَتُبْنُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿ ٣١ ﴾ [البقرة]

ولا مانع من أن يشار إلى المعروضات الماثلة في الموقف بإشارة العقلاء (هؤلاء) ، لأن الاسماء تتعلق بشخصات وأشياء تفرد آدم بعلمها ، وأقرت الملائكة بأنها لا تعلم ، لا ما سمحت به من قبل مشيئة الله ، ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٣١) [البقرة]

ووضح في الموقف تفرد آدم باختصاصه بالرسالة والاصطفاء وهذا حانت لحظة السجود لآدم ، تنفيذاً للأمر الصادر منذ بضعة ملايين من السنين

فسجود الملائكة كان في تدبير سجود آدم للنبي المصطفى .

٧ - السورة السابعة والثمانون ( البقرة ) : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة]

ويلاحظ على ما سبق من النصوص القرآنية ما يأتي

١ - أن النصوص الستة الأولى مكية ، والنص السابع مدني .

٢ - أن النص في سورة ( ص ) يجعل السجود عقب تمام النفخ من روح الله ، وكأنه جزاء وجواب للشرط ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ ، وكذلك أيضاً السياق في نص سورة ( الحجر ) ، أما النص في سورة ( الاعراف ) فيؤحي بوجود مسافة زمنية بين مرحلة التصوير ( أو التسوية ) وبين الأمر بالسجود ، كما سبقت ملاحظته ، ولكن استجابة الملائكة للأمر كانت في سياقها فورية مقرونة بالفاء .

وتتشابه النصوص في بقية الصور المكية في ( طه والإسراء والحجر والكهف ) - إذ يأتي السجود جواباً للأمر : ( أسجدوا ) ( فسجدوا ) .

أما النص المدني في سورة البقرة فيجعل الأمر بالسجود عقب فصل هام من القصة ، هو الحوار بين رب العزة والملائكة في شأن ( الخلافة في الأرض ) ، وهي إضافة بارزة لم ترد في أي نص قرآني سابق أو لاحق .

لقد كان عمر التفسير يرون دائماً أن السجود الملائكي قد حدث عقب نفخة الله سبحانه ، التي أنهضت آدم ( بشراً مُسَوًّى ) ، وهو رأى سائد في كل التفسير ، إذ إن الملائكة رأت في تحرك هذا المخلوق الطيني الهيئة تستوجب السجود - تكريماً لآدم ، وطاعة لله عز وجل . بحسب الرؤية القديمة . وهو ما يقوله الاستاذ البهي الخولي ( ص ٥٩ ) : سجدوا

- الملائكة - له بأمر من الله عز وجل عندما نفخ فيه سبحانه من روحه ) .

أما نحن فنرى تطبيقاً لتصورنا أن نص سورة البقرة ، وهو النص الأخير الذي يحكم جميع النصوص السابقة ، ويهيمن عليها - هذا النص ، قد طرح ترتيباً آخر للأحداث ، فجاء بالأمر بالسجود بعد مشهد الحوار بين الله وملائكته عن اتخاذ خليفة في الأرض ، ولم يكن آدم معلوماً آنذاك للملائكة ، رغم أنه كان موجوداً على الساحة بين أعمار البشر ، ولذلك عممت الملائكة الحكم على البشر ، وأنهم يفسدون ويسفكون الدماء ، ولو كانت الملائكة تعرف أن المقصود آدم ، فربما استثنته من هذا التعميم ، ولذلك قال الله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وهنا دخل آدم إلى مسرح الحوار ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ .. ﴾ [البقرة] ، كان التعليم هو الوحي الذي علم آدم ما لم يكن يعلمه ، وهو اصطفاؤه نبياً ، وتزويده بالضرورة من التعاليم الدينية ، ليبدأ المركب الجديد ، موكب الإنسان المكرم في شخص آدم . ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .. ﴾ [الإسراء] ، وموقف آدم عليه السلام في هذا هو موقف محمد ﷺ ، وقد قال الله له ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ .. ﴾ [النساء]

[النساء]

وفي هذا الموقف علّمت الملائكة لأول مرة أن المقصود بالخليفة هو (آدم) ، وليس غير .. إنها النبوة ، طليعة المركب الإنساني ، وقاعدة انطلاق الخلق الذي بدأت خطواته التنفيذية منذ ملايين السنين ، فوجد كماله في شخص آدم ، النبي المصطفى .. يالها من قدرة هائلة ! تابعت عملية الخلق خلال هذا الزمن المتطاوّل !! وياله من إنجاز رائع تجلّى أعظم تجلّ في

شخص آدم الرسول ، الذى تفوق على ملائكة الرحمن !!

فى هذا المشهد الكونى العظيم أمر الله ملائكته بالسجود لآدم ، تكريماً وتكليفاً : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ - إنه موقف يثير من الأعماق كوامن الطاعة والإعجاب . كما يحرك دوافع الحقد ودفائنه ، وفى هذا المشهد ولد الشيطان !! الكافر المتأبى المستكبر !! ..

ولا بد أن نتعرض هنا لمعنى السجود والمراد به فى هذا الموقف ، وننقل عن الأستاذ البهى الخولى ما قاله فى كتابه ( آدم عليه السلام ص ٥٩ ) : ( ومن البديهي أن هذا السجود لم يكن سجود عبادة وتسك ، فإن ذلك لا يكون لغير الله ، إنما هو سجود تحية وتكريم ومؤانسة ، وليس ضرورياً أن يكون سجوداً وضعوا له الجباه على الأرض . كما تفعل فى سجودنا لله عز وجل ، فللسجود هيئات كثيرة تتنوع بتنوع أصناف الحلائق ، والله سبحانه يقول فى ذلك : ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن] . ويقول على لسان يوسف لآبيه : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف] ، ويقول : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل] . ومن البديهي أن سجود الدواب ليس كسجود الملائكة . وسجودهما ليس كسجود الكواكب والشمس والقمر ، وسجود هؤلاء جميعاً ليس كسجود الشجر والزرع الصغير .. وهكذا .. ذلك إلى أن من معانى السجود فى اللغة التظامن والتواضع ، ويقول صاحب المصباح المنير : ( وسجد البعير خفض رأسه عند ركوبه ، وكل شيء ذل فقد سجد ) ، فإذا كان فى سجود الملائكة معنى الذل فليس هو ذل العبودية . ولا الذل المضيع للكرامة . إنما هو ذل التظامن والمودة الذى ترى شيئاً منه فى قوله تعالى

﴿وَخَفِضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ..﴾ [الإسراء] ، وتراه فيما يتبادل رحماء المؤمنين بينهم من انكسار الأخ لأخيه المؤمن الذى عبر عنه الحق تبارك وتعالى بقوله : ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ..﴾ [المائدة]

فهو سجود فيه معنى التحية والمودة وخفض الجناح ، والإقرار بالفضل ، قال القرطبي فى الجامع : ( وقال قوم : لم يكن هذا السجود المعتاد اليوم ، الذى هو وضع الجبهة على الأرض ، ولكنه مبقى على أصل اللغة ، فهو من التذلل والانقياد .. أى : خضعوا لآدم ، وأقروا له بالفضل ) ( القرطبي ٢٩٣/١ )

والواقع أن الموقف لم يكن بحاجة إلى هذا العناد لتفسير السجود بالتذلل أو خفض الجناح ، أو الإقرار بالفضل ، فذلك كله مبنى على التصور القديم الذى يرى الموقف محصوراً فى اللحظات التى انبهرت فيها الملائكة بدبيب نفخة الله فى جسد آدم ، وهو تصور تبين قصوره عن فهم الموضوع فى ضوء معطيات العلم ، واحتمالات النصوص القرآنية .

والذى نطمئن إليه هو أن سجود الملائكة كان يعنى تكليفهم بحيطة الحياة الإنسانية ، ابتداء من ( آدم ) ، وهو تكليف ماض إلى يوم القيامة . تتولى الملائكة فيه المحافظة على بنى آدم . وإلهامهم الخير ، طبقاً لمشئته الله سبحانه ، فى مقابل ما توعد به إبليس آدم وذريته من الفواية والاحتناك والهيمنة والتضليل

فالملائكة هم بموجب أمر السجود - أحد طرفى المعادلة فى الحياة الإنسانية ، التى قامت على الصراع بين الخير والشر

## الفصل الرابع

### موقف إبليس من السجود

لإبليس في قصة آدم موقفان : موقف مع رب العزة ، وموقف مع آدم وزوجه حواء ، والموقفان يتحولان في النهاية إلى موقف واحد ، هو موقف الصراع بين الخير والشر ، أو التناقض بين الملائكة والشيطان ، ومجال الصراع دائماً هو نفس الإنسان ( آدم وذريته ) .

ويظهر إبليس في مشهد التكليف بالسجود فجأة ، ودون مقدمات ، فلم يرد له ذكر قبل هذا المشهد ، وما كان سوى واحد من ( الجن المنتشرين ) في أرجاء الأرض ، ولعله كان ذا حظوة واقترب من عالم الملائكة حتى جاء الأمر بالسجود ، وكأنه مقصود به معهم ، والقرآن ينص على ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ .. ﴾ (٥٠) [الكهف]

ولعل تجاهل القرآن لذكره في خبر الأمر بالسجود - إنما كان لانه مجرد فرد من ( الجن ) ، على حين أن الخطاب كان لعالم الملائكة بإطلاق. فلما شذ في موقفه ، وأعلن رفضه لأمر الله .. ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ : صار علماً على الشر ، في مقابل استجابة الملائكة الذين صاروا أعلاماً على الخير .

ونحسب أن الأمر لم يكن بالصورة التي يتخيلها العامة من المفسرين ،

وعلى ذلك فقد سجد الملائكة ، وما زالوا ساجدين ، لآدم ، ولبنى آدم . وهذه الكرامة التي كفلها الله لهذه الذرية المصطفاة من خليقته البشرية طبقاً لما قرره آية سورة الإسراء : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١٧) [الإسراء] ، وهي أيضاً الكرامة التي أشار إليها إبليس في قصة الحوار في سورة الإسراء : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ .. ﴾ (٦٢) [الإسراء] . فقد احتقن حين رأى ما خص به آدم من تكريم وكرامة ، فتوعد بأن يضلّه وذريته ، ليظهر عدم استحقاقهم لهذه الكرامة .



المقولات ، فبالله أعلى وأجل من أن تدركه الأبصار ، أو تحده الأوهام والظنون . وغاية ما نتصوره أن يكون الحوار قد جرى من خلال الوحي النفسى . الذى أحاط بتفاصيله من يعلم السر وأخفى ، فهو - والله أعلم - حوار جرى فى نفس إبليس ، حين رفض الأمر بالسجود ، من منطلق اعتقاده بأنه خير من آدم من حيث الأصل ، فهو من نار ، وآدم من طين . وذلك رداً على ما ثار فى نفسه من أن إباءه السجود لا تفسير له إلا الكبر والفطرية ، وجيئنا بآية جاءه الأمر الإلهي - أيضاً - من طريق الوحي النفسى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۖ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۖ ﴾ .. وهكذا سار الحوار إلى نهايته : بكل ما تضمن من حقائق وأقذار عبرت عنها كل رسالات الانبياء ، من لدن آدم إلى محمد ، عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم السلام .

وقد يحلو لبعض المتفلسفة أن يروا فى هذا الموقف الإبليسى تعبيراً عن القوة والشجاعة الأدبية .. بل وزاد بعضهم فى المغالطة ، فرأى فى هذا الموقف آية على منتهى التوحيد ، فهو لا يسجد إلا لله وحده !! .. وتخيل بعضهم أن إبليس حين تمرد على الله صار رمز الحرية ، وزعيم الأحرار الرافضين للقيود !! ..

والواقع أن موقف إبليس فى ذلك الحوار يعكس ملامح شخصية متناقضة غريبة ، غاية فى الغباء والتناقض ، والضعف ، والجبن ، والجهالة . وذلك إذا ما احتكنا إلى المقاييس الأخلاقية المثالية ، وإنما أضفى عليه حلم الله الواسع هالة من التعظيم تليق بمتكبر حقود ، هو إبليس .

فليس من القوة أن يتصدى المخلوق للخالق ، ويتمرد عليه ، وهو يعرف يقيناً أنه هو الخاسر فى النهاية .. بل وهو يعلم أنه يخاطب ربه ذا القوة المطلقة ، والبأس الشديد .

وليس من الشجاعة أن يتجرأ على الله ، وهو يعلم أن ذلك يؤدى به إلى جهنم ، وبئس المصير ، ثم يستمر فى هذا التجرؤ إلى حد الوقاحة والتحدى العبيط !!

وليس التوحيد إلا الإذعان بالعبودية والطاعة المطلقة لله وحده لا شريك له ، والانصياع لأوامره ، وإبليس حين رفض السجود لآدم لم يكن إلا رافضاً لأمر الله ، وقد أوقعه فى هذا الجرم سوء تأوله ، أو لنقل : إنه قد ركبة فى هذه اللحظة شيطان آخر أعتى منه - لو صح التصور - فأغراه بالتمرد ، وأعماه عن تبين وجه الحق الذى أدركته الملائكة ، فالملائكة هم فى الواقع أذكى منه ، وأعمق توحيداً ، على حين خرج هو عن دائرة التوحيد !!

ويكفى دليلاً على غباء إبليس أنه وقد خفى عليه المعنى الصحيح للسجود ، وهو موالة آدم وذريته - إلى يوم القيامة ، كما أدركت ذلك الملائكة - انبرى بعقله الغبى يعقد مقارنة بين النار والطين ، ويزعم خيريته على آدم من هذا الجانب ، مع أن الطين عند التأمل خير من النار ، فهو زكى معطاء ، وهى أداة إهلاك وعذاب .

وفضلاً عن ذلك : فإن الأمر بالسجود لآدم لم يكن يعنى أفضليته ، بقدر ما كان يعنى إرادة تنظيم الحياة الجديدة على أساس من تعاون المستويات الخلقية الثلاثة : النور والطين والنار ، أو الملائكة ، والبشر والجن ، وخضوع الجميع لأمر الله وإرادته .

وهب - يا إبليس - أن السجود كان يعنى الأفضلية ، فإن هذه الأفضلية لم تكن تعنى الأصل المادى ، بل هى تعنى تعلق الإرادة الإلهية بالأمر



من ناحية ، ثم إن معيار الأفضلية في مستواها العلوى ليس مادة  
من طين أو من نار ، بل هو التنافس في طاعة الله ، كما قال تعالى  
﴿ إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ (١٦٣) [الحجرات] ، فقد  
أدرك في سموات الرضوان جنى من نار ، وقد يرسب في قاع الجحيم  
من طين ، لأن المعيار هو التقوى .

سجل إبليس على نفسه نقطة غباء ، حين حصر نفسه في ملاحظة  
بين الطين والنار ، ولو كان ذلك صحيحاً لفخرت الملائكة عليه بأنها  
( النور ) ، وهو خير من النار قطعاً ، بمقياس إبليس .. بل ويكل  
!! وإذا كان أتباع الشيطان وعبدته قد تصوروا أن الإهم هو رمز  
، وزعيم الاحرار فما ذلك إلا أثر من آثار تسلطه بغبائه على  
الهم ، إن كانت لهم عقول ، لقد تغلقوا بمفهوم التمرد الذي أبداه إبليس  
واجهة أمر خالقه ، ولم ينظروا إلى أنه لم ينكر ربوبية الله ، في  
الله أن ينظره إلى يوم البعث ، وفي قسمة بعزة ربه ، وهو مسلك يصمه  
الفاضل أو بالجنون ، إذ كيف يُقْبَلُ منه أن يتمرد على ( رب العزة )  
الله ، ويختار طريق الغواية والإغواء والذلة ، عامداً متعمداً .. اللهم إلا  
أن غيباً غاية في الغباء ، أو منقاداً لشيطان أعنى منه ، تسلط عليه  
أضله هذا الضلال المبين !! وحتى فقد القدرة على التمييز فلم يلحظ  
الله الفاضل !! فإذا لم يكن هناك شيطان قبله ، فهو إذا انطماس  
بيرة ، وعمى البصر ، وهو أوثق وأخيراً الحقد الذي منه تجاه آدم

الحرية إذا ؟ اللهم إلا أن يكون معنى الحرية هو الانتصار  
، والتحلل من كل قيمة تعمر بها الحياة .. لأن يكون معنى الحرية

هو تخريب الدنيا ، وتدمير بنائهم "الإلهي" ، ونشر الفساد والإلحاد ،  
وإشاعة الفوضى والانفلات ، وسيادة الحقد على وجوه الحياة كلها !!

ومع ذلك ، إن إبليس كان في موقفه مغروراً ، لأنه زغم لنفسه القدرة  
على إغواء الناس أجمعين ، إلا المخلصين منهم من عباد الله ، وعجيب أن  
يدرك هذا الفرق بين الغواية والإخلاص ثم يستمر في مزاعمه ، فكان نذير  
الله له بأن يملا جهنم منه ومن أتباعه أجمعين ، وبهذا ختم الحوار - كما  
قدمته سورة ( ص ) - في أول سياق يتعرض لهذه القصة .

فإذا قرأنا ما جاء في السورة التالية لها ، في سور الاعراف - الثامنة  
والثلاثين - وجدنا مزيداً من التفاصيل عن أساليب إبليس في إفساد  
الحياة الآدمية ( الإنسانية ) ، وهو مضمون قوله : ( لاغوينهم ) : ﴿ قَالَ  
فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١٦) ثُمَّ لَأَنْبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ  
خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الاعراف]

وفي السورة التاسعة والأربعين - الإسراء - يخاطب إبليس ربه :  
﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُؤْخِرَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٧) [الإسراء]

ويجيبه الله سبحانه : ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ  
حَرًّا مُّوقُورًا ﴾ (١٨) واستفز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك  
ورجلتك وشاركتهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا  
غروراً ﴾ (١٩) [الإسراء]

وفي السورة الثالثة والخمسين - الحجر - ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ

لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُورِيَهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴿[الحجر]

وفى السورة الثالثة والتسعين - النساء - يأتى حديث عن الشيطان .  
والمتصود به إبليس - قال تعالى : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ  
إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨)  
وَلَأُضِلَّهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ فَلْيَسْتَكُنْ أَذَانُ الْأَنْعَامِ وَلَا مَنِيْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ  
وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يَعْدَهُمْ  
وَيَمْنِيْنَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) ﴾ [النساء] .

ومكذا - عبر النصوص المتتابعة - يتضح المقصود بالغواية فى قوله  
تعالى : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ ، فهو يقعد لبني آدم على الصراط المستقيم ، بأن  
يعترضهم على طريق الإسلام ، وهو يتسلل إلى حياتهم من كل اتجاه  
بوسوسته بقدر ما يستطيع ، وقد ورد فى الحديث : ( إن الشيطان قعد  
لابن آدم باطرقة ؛ قعد له بطريق الإسلام فقال له : تدع دين آبائك ،  
فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له : تدع ديارك  
فتتغرب ، فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له : تقتل  
فتقتل فيقسم مالك ، وتنكح امرأتك ، فعصاه فقاتل ) ( الكشاف ٧٠ / ٢ )  
- ( ٧١ ) ، وإبليس يتوعد هنا بأن يحاصر بنى آدم من جميع الجهات .  
كناية عن محاولته الهيمنة عليهم ليذهلهم عما خصهم الله به من الكرامة .  
وهو ما جاء فى النصر التالى فى سورة الإسراء ، التاسعة والأربعين  
نزولاً . فى الآية الكريمة ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخُوِّنَ إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٢٦) ﴾ [الإسراء] ، والاحتناك ، مأخوذ من  
الحنك - فكانه يتوعد بأن يلتهم بوسوسته بنى آدم ، إلا قليلاً منهم . سن

يعصم الله من غواية الشيطان ، وهذه صورة أخرى من تفسير معنى  
الإغواء .

ويرد الله سبحانه وتعالى عليه هذا الوعيد : ﴿ قَالَ أَذْهَبَ لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ  
فَإِنْ جِهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مُوقُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزَزَ مِنْ اسْتَفْزَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ  
وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا  
يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ  
وَكِيلًا (٦٥) ﴾ [الإسراء] . وفى هذا الرد توصيف لوسائل الإغواء ، ومدى

ما يمكن أن يكون لإبليس من أساليب تخريب الحياة الإيمانية ؛ أن يستفز  
الناس ويستخفهم بصوته ، وأن يجلب عليهم ويصيح بهم بكل ما يملك  
من خيل ورجل ، وهو كناية عن الضجيج والصخب ، والتسلط ، وقد  
يدخل فى مضمون الصوت والجلبة كل كلام من العبث والمجون ،  
والفحش والبذاء ، ونداءات الجنس ، وأفلام الانحلال ، وكل هذه أساليب  
شيطانية تحقق أهداف إبليس .

وحسبنا فى هذا قول رسول الله ﷺ : ( إن الشيطان يجرى من ابن  
آدم مجرى الدم ) ، فهو جار إلى المخ مباشرة ، ويبقى فى الآيتين  
السابقتين قوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ ، وقد فسر  
الزمخشري بقوله : وأما المشاركة فى الأموال والأولاد فكل معصية  
يحملهم عليها كالربا ، والمكاسب المحرمة ، والبحيرة والسانية ، والإنفاق  
فى الفسوق والإسراف ، ومنع الزكاة ، والتوصل إلى الأولاد بالسبب  
الحرام ، ودعوى ولد بغير سبب ، والتسمية بعبد العزى ، وعبد الحارث ،  
والتهويد والتنصير ، والحمل على الحرف الذميمة ، والأعمال



اتباعه من شياطين الإنس والجن وحدهم .

ويبقى من هذا الحوار ما جاء من قوله تعالى في سورة (ص) : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٧٨) [ص] . وقد جاء في مقابلها في سورة الأعراف : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (١٧) [الأعراف] . كما تكرر هذا الأمر بعدما أظهر إبليس من وقاحة في مخاطبة المولى عز وجل : ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُورًا مَدْحُورًا .. ﴾ (١٨) [الأعراف] .

وما جاء في سورة الحجر لا يختلف عما في سورة ( ص ) : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٧٨) [ص] .. وقد استخدم النص الكريم أحد لفظين : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ أو ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا ﴾ ، وكلاهما يثير سؤالاً عن المقصود بالضمير في ( منها ) ، علام يعود هذا الضمير ، ولم يتقدم ذكر لما يعود إليه ؟ . وذلك مع ملاحظة أن الأمر موجه إلى إبليس وحده ، على خلاف الأمر الآخر الذي جاء في الحوار مع آدم وزوجه بعد الوقوع في الخطيئة : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ .. ﴾ (٢٤) [الأعراف] ، أو ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ .. ﴾ (٢٣) [طه] ، أو ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا .. ﴾ (٢٨) [البقرة]

إن المتأمل في الأمر الموجه إلى آدم وزوجه لا يعسر عليه أن يلاحظ عود الضمير إلى ( الجنة ) المذكورة في السياق المتقدم من القصة . أما الأمر الموجه إلى إبليس وحده فهو الذي يثير التساؤل ، وقد ذهب الزمخشري إلى أن المراد هو الهبوط أو الخروج من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصيين المتكبرين من الثقلين .. ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ وتعمى ﴿ فَاخْرُجْ

إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ . أي : من أهل الصغار والهوان على الله ، وعلى أوليائه لتكبرك .. وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ( ألبس الصغار ) ( الكشف ٦٩/٢ ) .

ويرى صاحب المنار : ( أن الهبوط هو الانحدار والسقوط من مكان إلى ما دونه ، أو من مكانة ومنزلة إلى ما دونها ، ثم قال : والضمير عائد إلى الجنة التي خلق الله فيها آدم ، وكانت على نشز مرتفع من الأرض ( المنار ٢٩٦/٨ ) ، ولعل بيان الزمخشري أقرب إلى العقل ، لعدم تقدم ما يعود عليه الضمير ، سوى ما يفهم من المقام ، والأمر ليس إهباطاً مادياً .. بل هو نوع من الزجر ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ .. ﴾ ، ولأن الجنة التي وردت في الحوار مع آدم قد أسكنه الله إياها بعد صدور هذا الأمر إلى إبليس ، وقريب من ذلك ما ذكره صاحب المنار عن الحافظ ابن كثير قال : ( يقول تعالى لإبليس بأمر قدر كرتي . فاهبط منها بسبب عصيانك لأمرى ، وخروجك عن طاعتي ، فما يكون لك أن تتكبر فيها : قال كثير من المفسرين : الضمير عائد إلى الجنة . ويحتمل أن يكون عائداً إلى المنزلة التي هو فيها من الملكوت الأعلى ﴿ فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ .. أي : الذليلين الحقيرين .. معاملة له بتقبيض قصده ، ومكافأة لمراد به بضده ، فعند ذلك استدرك اللعين ، وسأل النظرة إلى يوم الدين ) . ( المنار ٢٩٧/٨ ) ، وعلى نسق هذا الأسلوب تجرى تعبيرات مماثلة على السنة العوام ، لا تراد حرفيتها .. بل المراد مضمونها الوثقى ، كقول العامة : ( اطلع منها وهي تعمّر ) ، فالمقصود هنا مجرد الانصراف عن الموضوع ، وعدم التدخل فيه .

ولقد يعين على تبين المراد بالأمر الموجه إلى إبليس ( اهبط منها ) - أنه

## الفصل الخامس

### بين إبليس و آدم في الجنة

يبدأ الفصل الثاني من الحوار في قصة الخلق ، بعد افتضاح أمر إبليس ، وإعلانه السافر عن عداوته لآدم وذريته - يبدأ هذا الفصل بتوجيه الله لآدم أن يكن هو وزوجه ( حواء ) الجنة ، وأول آية تحدثت عن هذا التوجيه هي آية الأعراف : ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾ [الأعراف]

ولا مناصر من التسليم بأن آدم هو ابن الأرض ، وقد كانت حياته قبل الاصطفاء وبعد الاصطفاء على الأرض ، وقد اختار الله للزوجين بقعة راثعة من البقاع المثمرة ، توفر فيها الغذاء ، والكساء ، والماء والظل ، وسائر مقومات الحياة الرخية ، وقال له : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١٩)﴾ [طه] ، وكان لهذه الجنة ( أو الحديقة ) وظيفتان

الأولى : أن يمارس فيها آدم أساسيات الرسالة التي اصطفاه الله لتبليغها إلى ذريته ، ولا سيما التكاليف الأخلاقية ، والتعاليم الدينية المتصلة بالدنيا والآخرة . وهو ما يبدو متآلفاً في قصة ابني آدم ( هابيل وقابيل ) في سورة المائدة . ولا ريب أن الولدين قد تلقيا عن أبيهما كل ما دار في حوارهما من تعاليم كالتقوى والفجور ، والتوحيد والشرك ، والحلال والحرام والعبد والظلم ، والجنة والنار ، وفي هذه الجنة

اقترن في آية الأعراف بما يفسر هذا المراد ، وهو قوله تعالى : ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ، و ( الهبوط ) حركة رأسية من أعلى إلى أدنى ، و ( الخروج ) حركة أفقية من مكان إلى آخر ، والجمع بين البعدين على المستوى المادي متناقض ، فلم يبق إلا المستوى الأخلاقي ، وهو الهبوط من قمة الطاعة إلى درك التمرد ، والخروج من حرم الرضوان إلى حمأة الفسوق والعصيان ، وذلك يمكن تفسير الهبوط بالخروج .

فأما أن يقال : إن الأرض أقل من السماء فقول لا موضع له ، لأن الكون كله خلق الله وصنعه ، وهو مجال لامره سبحانه ، والله الخلق والأمر ، والأماكن تشرف بأنها صنعة الخالق ، لا بمن تعلق بها من المخلوقات طائفاً أو عاصياً ، فاستوى بذلك الظرف والمظروف ، وقد يخص الله بعض خلقه ببعض الأماكن ، كما يخص بعض الأماكن ببعض خلقه ، وكل ذلك في إطار الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين .

إن الله سبحانه لا يكره خلقه لذواتهم . بل يكره منهم أفعالهم التي نهاهم عنها ، ويدعوهم إلى مزايلتها ، مزايلة لإبليس الذي افتضح أمره ، وتعرى من ملابسه ، وأغرقهم في وساوسه ، كما أن الله يدعوهم إلى فعل المأمورات حتى يحبهم ، ويزيد في الإحسان إليهم ، فمن أطاع الله فقد ارتقى في درجات الملائكة الأعلى صعوداً ، ومن عصا الله فقد ارتكس في دركات العذاب حذراً ، وبئس المصير ، وهذا هو الأصل ، أو هي السنة التي عامل الله بها خلقه المكلفين بطاعته ، منذ كان التكليف .



وهما حديثا عهد بالتكليف ، قليلا الخبرة بالأعيب العيو وأخلاقه  
الوضيعة .. هيهات لهما أن يقاوما ما واجها معه من إغراء : آثار  
شهيتهما ، وحرك غرائزهما .

لقد كان توجيه الله لهما : ﴿كُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ  
الشَّجَرَةَ﴾ وما أعظم ما أباح لهما من نعم ، وما منعهما من الحرية ،  
بالقياس إلى ما منعهما منه ، وجاء الشيطان يوسوس لهما ، صارفا لهما  
عن نعم الله الوفيرة والمباحة ، مركزا على تلك الشجرة المحظورة ، وهي  
معيار الطاعة والمعصية .. جاء الشيطان قائلًا لهما ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ  
هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف : ٢٠] ، كانت  
القضية واضحة ، تتعلق بتوجيه الله سبحانه لهما ألا يأكلا من الشجرة ،  
وكان هدف الشيطان أن يأكلا من الشجرة وأن يفعل ذلك بأى ثمن من  
الكذب والخداع ، فهو إذا التصادم بين أمر الله وهدف الشيطان ، وقد بدأ  
يمارس مهمة الإغواء ، وينفذ وعيده الذى أعلنه ﴿لَأَزِيدَنَّ لَهُمُ فِي الْأَرْضِ  
وَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٣٥] ، ولا ريب أن تلك الشجرة كانت مغرية .  
تدعو إلى تجربة مذاقها ، وجاء إبليس بكلام كله كذب ، فربط بين الشجرة  
والارتقاء إلى درجة الملائكية ، أو تحقيق الخلود ، وكلا الأمرين مطمح  
لآدم وزوجه ، لقد علما أن الله ملائكة مقربين ، مخلوقين من النور ، لهم  
عند الله الدرجات العلى ، كما علما أن كل نعيم لا محالة زائل بالموت ، كما  
فئيت أجيال قبلهما ، ولا مهرب من الموت إلا بتحقيق الخلود ، وما أعزده  
مطلبًا ، وما أهونه وسيلة ، أن يأكلا من الشجرة .. مجرد مذاق .. ولن  
يكلفهما ذلك إلا أن يمدا أيديهما إلى ثمرها ، وزادهما تعلقًا بالدخول فى  
هذه التجربة أن اللعين أخذ يقسم لهما بالله إنه يريد صالحهما . وأنه

ناصح لهما ﴿وَقَاَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأنعام : ١٢١] ، وهو  
كاذب فى كلامه ، كاذب فى قسمه ، ولكنهما لم يتصورا أن يوجد من  
يجرؤ على الكذب بهذه الصورة الفاجرة ، حتى ولو كان إبليس ، وغاب  
عنهما تماما فى هذه اللحظة تحذير الله لهما ، ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ  
وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه] وعلا صوت الشيطان  
فى أذنيهما يدعوهما أن يأكلا من الشجرة ، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ فى لحظة  
ذهول وضعف ، وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير .. كانت الخطيئة  
التي جعلتهما من الظالمين .. يا لهول الموقف !!

آية شجرة هذه التى كان الاقتراب منها سببًا فى تتابع تلك النتائج  
الهائلة فى حياة الإنسان ؟

لسنا نميل إلى التعويل على معرفة نوعها ، أو أثرها ، فكل ذلك لا يهم ،  
إذا ما قيس بموقف معصية الإله العظيم ، رغم التحذير والتذكير ، يقول  
الاستاذ سيد قطب : ( ويسكت القرآن عن تحديد هذه الشجرة ، لأن تحديد  
جنسها لا يزيد شيئًا فى حكمة حظرها ، مما يرجع أن الحظر فى ذاته هو  
المقصود ، لقد أذن الله لهما بالمتاع الحلال ، ووصاهما بالامتناع عن  
المحظور ، ولا بد من محذور يتعلم منه هذا الجنس أن يقف عند حد ، وأن  
يدرب المركز فى طبعه من الإرادة التى يضبط بها رغباته وشهواته ،  
ويستعلى بها على هذه الرغبات والشهوات ، فيظل حاكمًا لها .. لا محكومًا  
بها كالحيوان ، فهذه هى خاصية ( الإنسان ) التى يفترق بها عن الحيوان ،  
ويتحقق بها فيه معنى ( الإنسان ) ( الظلال ٨ ، ١٢٩ ) .

وهكذا - رغم التحذير الإلهي - سقط الزوجان فى شرك الغواية :  
﴿فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سُرَاتُهُمَا وَطَفَفَا مِنْ خَلْفِهِمَا

[۱۳۸۵] ﴿۱۱﴾ وَتَسْمِعُهَا لِيَوْمَ تَنْفَخُ فِي الصُّورِ

[illegible]

وكانهم انما هم من ذرية واحدة  
والا فليكن من ذرية واحدة  
والا فليكن من ذرية واحدة

من أجل ذلك ، فإننا نرى أن هذه الفكرة هي التي يجب أن تكون الأساس  
لجميع الأعمال التي نقوم بها ، وأننا نرى أن هذه الفكرة هي التي يجب أن تكون الأساس  
لجميع الأعمال التي نقوم بها ، وأننا نرى أن هذه الفكرة هي التي يجب أن تكون الأساس

[illegible]

(A) ...  
... (A) ...

٢ - ان آدم لم يكن له نصيب في الجنة بل كان له نصيب في الدنيا.

[illegible]

التي لا بد منها ليس عورتها .. بل هي عورات كثيرة ، ولو كانت المرأة  
تأخذ ما ينبغي أن تأخذ من حقوقها ، فإنها لا تكون ( السوء ) بل تكون ( السوء )  
التي لا بد منها ليس عورتها .. بل هي عورات كثيرة ، ولو كانت المرأة  
تأخذ ما ينبغي أن تأخذ من حقوقها ، فإنها لا تكون ( السوء ) بل تكون ( السوء )

[illegible]

ما كان ينبغي علينا من أمرها ، فنجلا من ظننوها ، وشعرا بالاحتياج إلى  
استشارة ، وشعرا بخصافتها ، أي ، بغيرها ، أو بغيرها وبغيرها على  
أبنائنا من ورق الخبث ( ١١٧٧/٧ ) ( ١١٧٧/٧ ) .

، لئلا يتبين أن ذلك قراراً سوائها عنها ،  
والجواب أن يقول صاحب النور : ( والاعراض عن أي معنى ظاهرها  
التي في قوله تعالى : « لا يبين » ) ، والاعراض عن أي معنى ظاهرها

[illegible][illegible]

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين وبعد : [المعاني] في معرفة معاني الدقائق والصفات الغريبة



## الفصل السادس

### اللغة والأسماء القديمة

#### الله

#### الملائكة - آدم - إبليس - الشيطان

#### الله

كان القرآن - ولا يزال - الوثيقة اللغوية التي نعتت عليها في معرفة الاسماء التي وردت في قصة الخلق ، وما يتصل بها ، وأقدم الاسماء على الإطلاق هو لفظ الجلالة ( الله ) ، فهو الاول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، والمفروض أنه قبل ظهور ( الإنسان ) - لم يكن البشر يعرفون شيئاً سوى ما تهيئه لهم طبيعة مرحلة النمو التي يعيشونها ، فقبل أن يكون العقل ، وقبل أن تتكون اللغة لم يكونوا يدركون شيئاً عن حقيقة الحياة ، وطبيعة الوجود ، إلى أن كان اصطفاء ( آدم ) فعرفت الخليقة خالقها ، بدءاً من معرفة آدم لربه ، وفي نفس الموقف برزت أسماء بعض المخلوقات : الملائكة - البشر - آدم - إبليس ، ولا ريب لدينا في أنها أسماء قديمة ، استخدمت قبل أن تظهر العربية إلى الوجود ، وقد وردت هذه الاسماء في كلام الله ضمن حديث القرآن عن قصة الخلق ، أولى قصص الوجود البشرى والإنسانى معاً .

ونحن لا نتصور أن هذه الاسماء كلمات مأخوذة من العربية للتعبير

وهذه الكلمات هي التي أشارت إليها الآية الكريمة : ﴿ فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة] .

وقد عبر القرآن عن الموقف كله بقوله : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه] ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي (١٢٢) ﴿ [طه] .

وأرجع سبب الوقوع في الغواية إلى أنه لم يكن عامداً .. بل ناسياً : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَافِثِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه] .

ويمكن تفسير نسيان آدم بأنه داخل في مضمون الجهالة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ .. ﴾ [النساء] .

وهو موقف يختلف عن موقف إبليس الذي علم السوء ، وفعله ، وأصر عليه ، ولذا استحق آدم وزوجه أن يتوب الله عليهما .

وعند هذا المقطع من تسلسل الأحداث اكتملت معادلة الحياة الدنيا بكل عناصرها : ( الامر - الوسوسة - المخالفة - الندم - المغفرة ) ، فآن الاوان لنزول آدم إلى معترك الحياة الدنيا ، وقد ترسخت في عقله ونفسه تلك المعادلة ، بعد أن هيئت له الساحة ، وأخلت الأرض من المفسدين وسفاكي الدماء ، ولم يعد فيها سوى الإنسان الجديد ، ( آدم : أبى الإنسان ، وحواء : أمه ) في مواجهة إبليس عدوهما اللدود . وقامت الحياة على هذا العداء المتبادل : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) [الاعراف] .

ولسنا بحاجة إلى تكرار أن الامر بالهبوط مرادف للامر بالخروج .

عن شخصيات القصة ، فقد كانت القصة قبل أن تكون اللغات بالشكل المعروف ، نوعاً وعداداً ، وقد عرفت تلك الشخصيات بهذه الأسماء التي جاءت في كلام الله ، وهذا هو السر في شيوعها في كثير من اللغات الإنسانية بصور نطقية متقاربة ، فلفظ الجلالة : ( الله ) معروف هكذا في اللغات السامية القديمة ، ومنها العربية ، كما تعرفه اللغات الأوروبية .

ولقد حاول الاشتقاقيون أن يردوا لفظ الجلالة ( الله ) إلى جذر اشتقاقى ، فقال كثير منهم بأنه مشتق من ( آله ) بمعنى : فَرْعٌ ، أو بمعنى : تخير ، أو بمعنى : عبد ، أو بمعنى : أقام ، وقال بعضهم : إنه من ( وَّله ) بمعنى : أحب ، وقال غيرهم : إنه من ( لاه ) بمعنى احتجب أو ارتفع .

وأغلق بعضهم باب الاشتقاق وقال بأنه غير مشتق .

وفريق ثالث قال : بأنه غير عربى ، فهو سريانى - أو عبرانى .

والأكثر على أنه عربى .

والذى نراه أن ذلك كله خبط فى ظلمات مدلهمة لأن الله سبحانه أخبر عباده بأنه ( الله ) ، وطلب منهم أن يعبدوه ويوحدوه لأنه ( الله ) ، والخطاب هنا ليس عربياً لقوم عرب .. بل هو خطاب إلهى كونى صدر عن خالق الكون ، والإنسان ، واللغات ، فهو إذن ليس اسماً صاغته ألسنة المخلوقات .. بل تلقته هذه الألسنة من الملائكة الأعلى علماً على ذات المعبود بحق ، واستوعبته العربية ، كما استوعبته سائر اللغات التى تلقت رسالات السماء ، ونطقت به حسب قوانينها ، وتقاليدها ، وقدراتها النطقية . فلا ينبغي أن يدرج فى معجم العربية على أنه كلمة من كلماتها ..

بل على أن اللسان العربى نطقه هكذا كما لقنه ، وكما نطقه غير العرب ، وقد اخترع العبرانيون إلهيم ، أو يهوه ، كما ورد إيل ، وإل ، ولكن يبقى ( الله ) ، وتتلشى كل الاختراعات أو الواردات فلفظ الجلالة هو أصل الأسماء ، وأولها ، ومصدرها ، كما أنه مصدر اللغات والألسنة ، وصدق الله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَبَاقِكُمْ .. ﴾ [الروم] ، وهو القديم ، وما سواه محدث ، وهو قديم بذاته ، وباسمه قبل أن تكون اللغات .. بل قبل أن تكون الكائنات .

### الملائكة

وأما عن ( الملائكة ) فهى كلمة إسلامية أيضاً .. لم تستخدم فى العربية قبل أن يرد ذكرها فى بداية الوحي ، فى سورة المدثر ، وهى رابع سور القرآن نزولاً ، وقد ردها اللغويون إلى الجذر ( ألك ) ، الذى اشتقت منه كلمة ( مَلَك ) . ثم حدث قلب مكانى ، فصارت ( مَلَاك ) ، ثم جمعت فصارت ( ملائكة ) . ولا دليل على استخدامها فى العربية قبل القرآن .

وأقطاب ( الملائكة ) ، وفى مقدمتهم ( جبريل وعزرائيل ) ، جاءت تسمياتهم مركبة ، وهى شائعة فى كثير من اللغات ، فكلمة ( جبرائيل ) جزؤها الأول ( جبر ) بمعنى ( رجل ) ، وكلمة ( عزرائيل ) جزؤها الأول ( عزر ) بمعنى ( قوة ) ، وهما مضافتان إلى لفظة ( إيل ) .. أى : الله ، وكان الأول يعنى ( رجل الله ) ، والثانى هو ( قوة الله ) ، وهى ترجمة متخيلة بقدر ما تسعه اللغة الإنسانية ، وإلا فليس فى الملائكة رجال أو نساء ، ولا يليق أن تحصر قوة الله فى ملك مخلوق واحد .. بل إن التجريد هنا غير لائق ، إذ إن القوة ( ومنها : القوى ) من أسماء الله وصفاته

الحسنى . وليست ملكاً بعينه ، خاصة أن اختصاص تَوْفَى الأحياء مَعْرُوءٌ في القرآن إلى الله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ .. ﴾ [الزمر] ، وَمَعْرُوءٌ إلى رسل الله من الملائكة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا .. ﴾ [الأنعام] ، وَمَعْرُوءٌ إلى ملك الموت ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ .. ﴾ [السجدة] .. أى : إن قوة الإمامة ليست محصورة في ملك بعينه ، وعلى أية حال فإن القرآن لم يذكر من أسماء الملائكة سوى (جبريل وميكال) ، ولسنا مكلفين بترجمة معانى هذه الاسماء ، أو التعامل معها على أساس معانيها ، فالأسماء لا تغل ، إنما هي كتل صوتية لا يلتفت إلى مكوناتها .

إن ذلك يعنى أن هذه التسميات كانت قبل اللغة العربية .. بل هي فعلاً ، بل اللغات البشرية ، وأن ما حاول الاشتقاقيون أن يستخرجوه من المعانى فى ضوء الربط بين الاسم ، وجذره اللغوى المفترض - هو فى الحقيقة افتعال يقلب القضية رأساً على عقب !!

## آدم

لقد حاول الاشتقاقيون أن يجدوا لأدم أصلاً فى ( أديم الأرض ) الذى أتى منه ، والحق - فى نظرنا - أن أديم الأرض اشتق من ( آدم ) الذى أتى ( الإنسان ) بالمعنى العام فى كثير من اللغات ، وكان مرتبطاً دائماً بالتراب ، والطين ، فأطلق على مادته التى خلق منها : أديم ، على سبيل الاشتقاق من الجوامد ، وهو مجاز مرسل علاقته الأصلية والفرعية ، إن صح التصور .

ويمكن أيضاً أن يقال : إن ( الأدم ) بمعنى : الجلد .. مشتق كذلك من

( آدم ) ، ويطلق على الجلد : البشرة ، وللبشرة علاقة لفظية بالكلمة القديمة الأولى فى ملحمة الخلق ، كلمة ( بشر ) التى تفردت بها العربية - كما سبق أن قلنا .

## إبليس

أما كلمة ( إبليس ) فهى موجودة فى لغات قديمة كاليونانية (ديابولوس) ، وهى كلمة تبدو مركبة من جزئين : ( ديا + بولوس ) ، وقد أخذت اللغات الأوروبية ، باعتبارها أحدث من اليونانية - الجزء الأول من التركيب - ( ديا ) ، ونطقها ( ديابلر Diable ) ، وأخذت العربية وأخواتها الساميات الجزء الثانى من التركيب كما هو ( إبليس ) مع تنوع فى طريقة النطق ، هذا ما قرره محقق الزينة

ولا يبعد فى تقديرنا أن تكون الكلمة من عطاء القرآن للعربية .. وهى أقدم اللغات السامية . فلم نعثَر على ما يشهد بوجودها قبل الإسلام فى لسان العرب .. بل إن الكلمة ليس لها مقابل لفظى أو دلالى فى العبرية ، وقد وردت لأول مرة فى القرآن فى سورة ( ص ) .. أى : فى سياق قصة آدم ، وذكر المعجم الوسيط أن جمع الكلمة : أبالس ، وأبالسة .

أما .. كيف عالج أهل اللغة لفظها ومعناها ؟!

فقد قال اللغويون العرب : إنه على وزن إفعيل ، مشتق من أبلس الرجل : إذا انقطع ولم تكن له حجة ، ويقال : هو من يئس ، قالوا فى تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِذَا هُمْ مَبْلُؤُونَ ﴾ ، قال : يائسون . قال ابن عباس : ( لما لعنه الله أبلس من رحمته ) . وقال الفراء : ( مبلسون ، يعنى : فى العذاب ) ، وقال : ( المبلس : اليئس من النجاة والقائظ ، وهو



أمره : شيطان ، قال جرير :

أيام يدعوننى الشيطان من غزلى وكُنْ يهويننى إذ كنت شيطاناً

أى : إن النساء يدعونه ( شيطاناً ) لتفرد به بأفعال الشيان من الغزل وغيره .

ويطلق اسم ( شيطان ) على الحية خفيفة الجسم قبيحة المنظر ، وهو أحد وجهى التفسير فى قوله تعالى : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهَ رَأْسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات] انظر ( الزينة / ١٨١ ) .

ومن صفات الشيطان : ( المارد ) ، وهو فى قوله تعالى : ﴿ وَحَفَظَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ [الصافات] ، وهو خارج عن الطاعة ، ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ [النمل] ١١٧ لَعَنَهُ اللَّهُ .. [النساء] ١١٨ ومن صفاته ( الرجيم ) فى قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النمل] ، والرجيم هو المرجوم . كاللعين أى : ( الملعون ) ، وهو أيضاً كذلك بمقتضى الخطاب الأول إليه : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص] ٧٨ .

ومن صفات الشيطان ( الغول ) ، وهو ساحر الجن ، وكذلك ( السعلاة ) وهى أخبث من الغول وأعظمها سحراً .

ومن صفاته : ( الوسواس الخناس ) ، والوسواس هو الذى يلقي بوسوسته فى القلوب ، حتى يختل الإنسان ، والخناس هو الذى يهرب عند ذكر الله سبحانه .

ومن صفاته ( الغرور ) لم يوصف بذلك غير الشيطان ، وهو وصف

على فعول ، مثل : ظلوم وحقوق ونؤوم - صفات مبالغة ، وقد يفسر ( الطيف ) أو ( الطائف ) بأن المقصود به الشيطان ، وكذلك ( الخيال ) ، ويذكر صاحب الزينة أن من الشياطين جنساً يقال له :

( الخَبَلُ ) ، وهم الذين يُخَبِّلُونَ الناس ويؤذونهم ، وقد يدفعونهم إلى الجنون .. يقال : رجل مُخَبِّلٌ : إذا كان به مس من الجن ، والخبال هو الجنون واختلاط العقل .

ومن أسماء الشيطان أيضاً ( الطاغوت ) ، وهو وارد فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ .. ﴾ [النساء] وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ .. ﴾ [البقرة] ٢٥٧ .

ومن أجناس الشياطين : العفريت ، وجمعه : عفاريت ، وهو وارد فى القرآن : ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ .. ﴾ [التل] ، والعفريت من كل شيء : ( المبالغ ، ويقال : فلان عَفْرِيَّةٌ نَفْرِيَّةٌ ، وعُفَارِيَّةٌ ، وهو الموثق الخلق الشديد المصحح ) ( الزينة / ١٩١ ) .

ولم يذكر صاحب الزينة من صفات الشيطان : القرين ، وجمعه : قرناء ، وقد وردت الكلمتان فى آى القرآن ، الأولى فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف] ، والثانية فى قوله تعالى : ﴿ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ .. ﴾ [فصلت] ، كما ورد ذكر ( القرين ) فى سورة (ق) ، فى الآيتين : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴾ [ق] وقوله : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [ق] .

التي كانت من ذرية نوح عليه السلام . قال : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ وَيُخْتَارُ ﴾ .  
وكانت من ذرية نوح عليه السلام . قال : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ وَيُخْتَارُ ﴾ .

وقد أشار القرآن إلى أن نوح عليه السلام كان من ذرية نوح عليه السلام .  
وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .

وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .  
وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .

وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .  
وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .

وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .  
وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .

وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .  
وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .

نوح عليه السلام في القرآن

وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .  
وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .

وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .  
وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .

وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .  
وقد ورد ذكر نوح عليه السلام في سورة النور . وفي سورة النور . وفي سورة النور .

المستطرف من أن إبليس ( لا يلد ، بل يلحق كالطير ويبيض ويفرخ . قيل : إنه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان ) ( المستطرف / ٤٠٢ ) ، فإذا استبعدنا هذا من قياس التكاثر بين الشياطين على غرار تكاثر الضيور ، والحشرات ، فقد نتصور أن طبيعة إبليس النارية تقبل التكاثر بما يشبه الانقسام ، فيحدث عند احتدام حقه تولد الشر ، فيكون من كل شرارة شيطان وليد ، يكبر برعاية أبيه ، ويبقى معه إلى أجله المسمى .

وبذلك يبرز دور الشياطين إلى جانب دور ( إبليس ) زعيمهم الأكبر ، وأبيهم اللعين ، ليتولوا إضلال المؤمنين عن طريق الاستقامة ، ودفعهم إلى المعاصي ، من الكبائر والصغائر ، فمن الواضح إذا أن كلمة ( إبليس ) علم أطلق على ذلك الشيطان الأكبر دون ذريته من الشياطين والمردة ، ولهذا لم يتسم باسمه أحد غيره ، فلم يرد في الاستعمال ( إبليس الإنس ) ، كما ورد ( شياطين الإنس ) ، وهم الذين نفخ إبليس في قلوبهم فصاروا له جنداً .

وربما نستطيع أن نتصور واقع العمل بين إبليس وذريته وجنوده من الشياطين ، في ضوء دلالة النصوص القرآنية بحيث يتولى إبليس محاربة بنى آدم ليصدهم عن الإسلام ، ويفرقهم في الشرك ، وفي كل ما يؤدي إليه من قول أو عمل ، وتلك مهمة رهيبة تتصل بالمبادئ والعقائد والأديان ، على أن يتولى بقية الشياطين مهام دون ذلك ، في مجال الرذيلة والشر .. كل حسب اقتداره على الإغواء والإضلال . وإشاعة الفساد ، فمنهم الذكي والغبر ، والنابه والكسول ، وسوف نزيد الصورة وضوحاً عند استعراض النصوص الواردة بشأن ( الشيطان ) .

على أن ( إبليس ) وصف في القرآن بأنه ( شيطان ) ، وهو ما يشي به

مثلاً .. قوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ ﴾ (٢٨) [العنكبوت] ، فهذه المهمة الضخمة ، المتمثلة في صرف هؤلاء الكفرة عن الإيمان ، وصددهم عن التوحيد - هي مهمة هائلة لا يقدر عليها سوى ( إبليس ) ذاته ، الذي وصف بأنه ( الشيطان ) - هكذا معروفاً ( بال ) العهدة ، أي : الشيطان الذي تعرفون ، وتذكرون قصته ووعيده ، والموقف هنا مع عاد وثمود - الذين عاشوا في الفترة ما بين نوح وإبراهيم .

وأوضح من ذلك دلالة على أن المراد ( بالشيطان ) هو ( إبليس ) - قوله تعالى في سورة ( يس ) ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢١) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٢٢) [يس] ، إننا نستطيع أن نطردها قاعدة في كل شيطان معرف ( بال ) ، فهو ( إبليس ) ، ويعتمد في ذلك أيضاً على دلالة السياق ، فأما إذا جاء اللفظ منكراً فإننا نرجح أن يكون المراد به واحداً ، فالمراد به واحد من جنس الشياطين .

### الشيطان في القرآن

ورد ذكر الشيطان في القرآن مفرداً ، وجمعاً في سياقات توحى باختلاف المعنى المقصود منه . وقد جاء مفرداً في التنزيل المكي ثلاثاً وثلاثين مرة ، وجاء مفرداً في التنزيل المدني ثمانياً وعشرين مرة .

أما وروده جمعاً - فقد جاء في التنزيل المكي خمس عشرة مرة ، وفي التنزيل المدني ثلاث مرات .

ولقد نستطيع أن نميز بعض وجوه المعنى المراد من خلال ملاحظة ورود الكلمة معرفة أو منكراً - كما سبق أن قلنا ، فإذا جاء معرباً

( الشيطان ) فهو ( إبليس ) ، وإذا جاء منكراً ( شيطان ) فهو واحد من جنس الشياطين ( من ذرية إبليس ) ، وقد جاء اللفظ منكراً ( شيطان ) فعلا في خمسة مواضع هي على التوالي بحسب النزول :

السورة السابعة ( التكوين ) : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (٢٥) [التكوين] مكية .

السورة الرابعة والخمسون ( الحجر ) : ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (١٧) [الحجر] مكية .

السورة السادسة والخمسون ( الصافات ) : ﴿ وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ ﴾ (٦١) [الصافات] مكية .

السورة الثمانية والستون ( الزخرف ) : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا .. ﴾ (٣٥) [الزخرف] مكية .

السورة الثالثة والتسعون ( النساء ) : ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ (١٧) [النساء] مدنية .

ويلاحظ أولاً أن الآية في سورة التكوين هي أولى الآيات التي تعرضت لذكر الشيطان في القرآن ، فجاءت به منكراً ، وقد كانت العرب تعرف ( الشيطان ) ، وتراه في أطيايف الشعراء ، فجاء القرآن لينفي أن تكون آياته كآبيات الشعر من طائف الشيطان الذي عرفوه : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (٢٥) [التكوين]

ونحسب أن وصف الشيطان هنا بأنه ( رجيـم ) هو الجديد في هذه البداية ، لتعريف المخاطبين بأن شأن الشيطان أن يرجم بالحجارة ، وهو ما لم يعرفه أهل الجاهلية ، وكأنه يقول لهم : إن ما يعليه الشيطان على عقل الشاعر لا يحمل هداية ، ولا يدعو إلى خير ، فهو عكس ما يتلود

عليكم محمد ﷺ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٧) لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨) [التكوين] ، وقد صممت الوحي بعد ذلك عن ذكر الشيطان - منكراً ومعرفاً - طيلة ثلاثين سورة - حتى جاء ذكر ( إبليس ) في سورة ( ص ) لأول مرة ، وعرض ذكر ( الشيطان ) مفرداً بعيداً عن قصة آدم ، أي : في إطار مستقبل ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (٤١) [ص] ، وجاء ذكره جمعاً في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴾ (٣٧) [ص] ، والآيتان تتحدثان عن أمور تتصل بقصتي نبيين كريمين .. أحدهما : أيوب ، الذي دعا ربه أن يخلصه من وساوس الشيطان أثناء مرضه وابتلائه ، والثاني : سليمان الذي سخر الله له الجن والشياطين في أمور تتصل بما وهبه الله من ملك لم يوهب لأحد بعده ، وحين تأتي قصة آدم في آخر سورة ( ص ) يذكر ( إبليس ) لأول مرة ، وكأنه لا علاقة له بالشيطان ، فكل منهما مجاله ، ولكن الوحي ينزل بعد ذلك مباشرة بسورة الأعراف ( التاسعة والثلاثين ) ، فيجمع بين إبليس والشيطان في قصة آدم ، ويطابق بينهما . ولو أننا قرأنا الآيات حتى قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ لشعرنا أن كلمة ( الشيطان ) في هذا السياق تأتي في موقع الوصف ، أي : ذلك الشرير المجرم ، وملحظ الوصفية هنا أظهر من ملحظ الاسمية .

ولما كان كل من إبليس والشيطان منتمين إلى خليفة الجن ، فقد نزلت في الأعراف آية تذكر ( الجن ) هي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ .. ﴾ (١٧٤) [الأعراف] ، وجاء بعدها مباشرة سورة الجن ( الأربعون نزولاً ) لاكنال الصورة بكل مكناتها ، وليتعرف أهل القرآن على أجزاء ذلك العالم الخفي .. ذلك العالم الذي وُصف في سورة الأعراف بأن له ( قبلاً ) ، فقال : ﴿ إِنَّهُ بِرَأْسِهِ قُورُسُ وَفِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠٠) [الأعراف] ، وبذلك اكتمل التعريف



بعالم الجن - عالم الخفاء .

ولقد تدلنا الآيات الخمس السابقة التي تذكر الشيطان - منكراً - على الصفات اللصيقة بشخصه ، وهي أنه رجيم مارء مريد ، وكأن هذء هى الحد الأدنى لما يذم به أى شيطان ، فأما أكثر الصفات فقد ذكرتها الآيات الأخرى التي ورد فيها ذكر ( الشيطان ) معرفا بأداة التعريف ، أو مقترناً بصفات تزيد صورته جلاءً وقبحاً .

غير أننا نقرر هنا أن متابعتنا للآيات الكريمة فى ستة وخمسين موضعاً أكدت لنا أن المراد بالشيطان معرفاً - فى أكثرها - هو إبليس . وقد أثبتت له النصوص الصفات التالية :

- فهو موسوس فتان عدو مبين يسلخ الإنسان من آيات ربه ، ويزيده تعرية . ( الأعراف ) .

- وهو عدو مبين متآله يريد من بنى آدم أن يعبدوه . ( يس ) .

- وهو نذل يخذل من يصادقه ، ولا تؤمن موالاته . ( الفرقان / مريم ) .

- وهو يدفع حزبه إلى سعيى جهنم . ( فاطر ) .

- وهو كذاب مخادع فاجر لا يخجل من كذبه . ( طه ) .

- وهو يزين الأعمال القبيحة لتبدو جميلة ، حتى يضل الأفراد والأمم ( العنكبوت / النمل / النحل ) .

- وهو يدفع إلى الجريمة والقتل بحكم عداوته للقاتل والمفتول ( القصص ) .

- وهو كفور بنعمة ربه ، لا يملك تحقيق ما يعد به ، سوى الغرور ( الإسراء ) .

- وهو يدفع الناس ليكيد بعضهم لبعض ، حتى الإخوة . ( يوسف ) .

- وهو يلغى بالغفلة على العقول لتتنسى ذكر الله . ( يوسف / الكهف ) .

- وهو يغشى القلوب ، ويغشى على العقول ، ويضل عن ذكر الله عند الأكل . ( الأنعام ) .

- وهو يقود الأبناء على آثار آبائهم من أهل النار . ( لقمان ) .

- وهو يحتل فراغ النفوس ، وينزع بوسوسته فى العقول . ( فصلت ) .

- وهو يصد عن توحيد الله . ( الزخرف ) .

- وهو منافق وقح ، يعد ثم يخلف فى تبجح . ( إبراهيم ) .

- وهو يعد بالفقر ، ويأمر بالفحشاء والمنكر ، ويتخبط بنى آدم . ( البقرة / النور ) .

- وهو وراء ظاهرة الهرب من الميدان ، وهو يزرع الخوف فى نفوس أوليائه . ( آل عمران ) .

- وهو وراء الموبقات كالخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، ليثير العداوة بين الناس . ( المائدة ) .

- وهو قرين السوء ، بعيد الإضلال ، ضعيف الكيد ، لا يعصم من اتباعه إلا فضل الله . ( النساء ) .

- ولايته خسران ، ووعد غرور ( ق ) .

- وهو فتنة لمرضى القلوب قساتها . ( الحج ) .

- وهو قائد المرتدين على أدبارهم ، يسول لهم ارتدادهم . ( محمد ) .

- وهو يوقع الإنسان فى الكفر ثم يتخلى عنه ويتبرأ منه بدعوى

الخوف من الله . ( الحشر ) .

- وهم وراء التناجى بالإثم والعدوان والمعاصى ، ووراء خسارة حربه .  
( المجادلة ) .

فهذا عن صفات ( الشيطان ) فى القرآن ، سواء أريد به ( إبليس ) بذاته ، أم كان المقصود جندياً من جنوده ، أو شرارة من ذريته ، وهى كما رأينا صفات تغطى حياة بنى آدم ، فى كل أحوالهم .. الدنيوية والآخرية.. وقد رجحنا أن يكون المراد بالشيطان فى هذه النصوص ( إبليس ) ما دام اللفظ معرّفاً .

فأما عن ورود اللفظ مجموعاً : ( شياطين ) - فإن الصورة تختلف ، لأن النشاط الشيطاني سوف يستخدم جماعات كثيرة فى تنفيذ مخططاته على مستوى جماعى . ويمكن أن نميز فى استعمال الكلمة ما بين معرف بآل - ومعرف بالإضافة .

ونبادر إلى تسجيل ملاحظة هى أن استعمال الكلمة مجموعة جاء فى الوحي المكي فى خمسة عشر موضعاً ، وجاء فى الوحي المدني فى ثلاثة مواضع .

#### هالشياطين فى المرحلة المكية :

- أولياء للذين لا يؤمنون . ( الأعراف ) .

- وهم محشورون يوم القيامة مع الكاذبين . ( مريم ) .

- وهم يدفعون الكافرين إلى المعاصى . ( مريم ) .

- وهم يتنزلون على الكاذبين ، لأن أكثرهم كاذبون . ( الشعراء ) .

- وهم يحاولون أن يستهوا المهتدين . ( الأنعام ) .

- ومنهم شياطين من الإنس ، كما أن منهم شياطين من الجن .  
( الأنعام ) .

- وهم وراء الجدل فى شريعة الله . ( الأنعام ) .

- وهم إخوان المبذرين . ( الإسراء ) .

- ولهم همزات ينبغى الاستعاذة بالله منها . ( المؤمنون ) .

- وقد أعد الله لهم رجوماً فى الدنيا من نجوم السماء . ( الملك ) .

وفى المرحلة المدنية :

- هم وراء ظاهرة النفاق فى مجتمع المدينة . ( البقرة ) .

- وهم كذلك وراء انتشار ظاهرة السحر الذى لا يعرفه إلا كافر .  
( البقرة ) .

ولا مجال لتصور إنحسار نشاطهم فى المدينة ، فإن ما جاء فى القرآن صادق الدلالة على ما يراد به ، فى كل مكان وفى كل زمان ، غير أن الصورتين اللتين سجلهما الوحي عن النشاط الشيطاني فى المدينة لم يكن لهما مكان فى مكة ، وإنما انتشرتا فى المدينة ، وهما النفاق والسحر ، وكلاهما بسبب من الكفر .. بل هما أشد ألوان الكفر ، وما زالت المجتمعات الإسلامية تعج بمواكب المنافقين وأحزابهم وطوائفهم ، وما زالت دولة السحر قائمة ، حتى فى معازل الكبار ومضاجعهم .. تساندتهم جماعات من المتاجرين بالدين والشعوذة ، أو من الأغبياء ، أدعياء العلم بالدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وهؤلاء هم ( شياطين الإنس ) الذين عادوا الأنبياء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ .. ﴾ (٩١٢) [الأنعام] .

وحين يتقصر ( الإنسان ) وظيفة الشيطان ، فإنه يكون أخبث طينة ،





[illegible]

בית המדרש / תל אביב

10 יִשְׁתַּיִל | 9 אֶרְבֵּי | 8 יִשְׁתַּיִל | 7 יִשְׁתַּיִל | 6 יִשְׁתַּיִל | 5 יִשְׁתַּיִל | 4 יִשְׁתַּיִל | 3 יִשְׁתַּיִל | 2 יִשְׁתַּיִל | 1 יִשְׁתַּיִל

וְיִשְׂרָאֵל יֹאמַר וְעַתָּה יִשְׁכַּח אֶת-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל

יְהוָה יִשְׁמַר אֶת יְהוּדָה וְיִשְׁכָּן יִשְׂרָאֵל וְיִשְׁכָּן יִשְׂרָאֵל

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840.

**ཆོས་རྒྱལ་གྲིང་མེད། རྩུབ་པའི་ཕྱི་རྒྱལ་**

[illegible]

استأثر الله - سبحانه - بعلمه ..

وإذا كان الباحث ملتزماً بالمنهج الذى حدده لنفسه - والذى سنشير إليه - قد توصل إلى عدد من الآراء التى استخرجها باستنتاجه النصوص القرآنية - كما يقول - فإن اللجنة لا تخوض فى هذه الآراء ، مصوبة لها أو مخطئة وإنما حدد المجمع مهمتها فى التثبت مما إذا كان الكتاب قد اشتمل على آراء مخالفة لنصوص قطعية الورود وقطعية الدلالة ، أو خالفت شيئاً مما علم من الدين بالضرورة من ثوابت المعتقد الإسلامى أو ثوابت الشريعة . لهذا فقد توجهت - وهى تقرأ الكتاب وتعيد قراءته - إلى مراجعة أمرين اثنين :

أولهما : المنهج الذى حدده المؤلف لنفسه وسار عليه فى بحثه .

الثانى : مضمون بعض الآراء التى انتهت إليها من حيث اتفاقها مع ثوابت المعتقد الإسلامى مما عرف من الدين بالضرورة ..

أما المنهج الذى اتبعه المؤلف فقد وصفه إجمالاً فى مقدمة الكتاب ، حيث حدد هدفه من بحثه بأنه محاولة لفهم النصوص التى جاءت فى القرآن الكريم ، وهى قطعية ( نظنه يعنى قطعية الورود ) ، تروى وقائع قصة الخلق وأيضاً للتوفيق بين التصوير القرآنى والاتجاه العلمى فى تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض ، ولا حرج علينا فى هذا ما دمنا نرعى قداسة النصوص المنزلة ، وما دمنا لا نخالف معلوماً من الدين بالضرورة ، وما دمنا نقدم رؤية عقلية تحترم المنطق ، وتستنطق اللغة من جديد ، وتدعم إيمان المؤمنين بما ينطوى عليه كتاب الله من أسرار قد تكون خفيت عن بصائر ذوى التمييز ، ثم أذن الله - سبحانه - لبعض السر أن ينكشف ، وللرؤية أن تتجلى ..

ولا ترى اللجنة فى هذا التوجه مأخذاً تأخذه على الباحث ، ما - م - يلتزم به ، ولا يخرج عن ضوابطه .. وقد تبين للجنة أن ما يقصده البحث ( بالاتجاه العلمى ) فى تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض - لم هو احترام النتائج التى توصلت إليها علوم الجيولوجيا وعلوم الإنسان ( الأنثروبولوجيا ) والتى اعتمدت فيما وصلت إليه من نتائج على دراسات مستفيضة ومتواصلة لطبقات الأرض وخواصها ، وللحفريات التى ترشد إلى ما عاش على كوكب الأرض من مخلوقات ، والتى نقر - على وجه التقريب - الأماد الفاصلة بين مراحل تطور الحياة على ظهر هذه الكواكب ، وتفصيل ذلك وارد فى الفصل الثانى من الكتاب ، ونرى اختار له المؤلف عنوان « النظرة العلمية » . وقد لاحظت اللجنة أن المؤلف بعد أن أورد آراء العلماء فى العصور الجيولوجية وأماهاها الزمنية له بحته الالتفات إلى نسبيتها ، وأن ما قال به العلماء فى شأنها لا يبلغ أبداً مرتبة اليقين العلمى ، فهو يصفها جميعاً ( ص ٢٦ ) بأنها « جملة من النظريات المشتجرة والمتعارضة التى تركز كلها على تاريخ وجود الإنسان ، وأصل هذا المخلوق ، وهى كلها تؤكد نسبة المعلومات التى تضمنتها ، ولعل واحدة منها أدلتها التى تستند إليها فى تقرير جوانب التصور الرمزية والخلقية ، ولا ريب أن فى كل منها شيئاً من الحقيقة ، وأشياء من الزوال تصب فى بحر الضلال » ، ويزيد الكاتب موقفه هذا وضوحاً حين يعده فى نهاية الفصل الثانى من كتابه ص ٤٢ مقارنة بين دلالات العلم ودلالة القرآن ، فيقول : ( لا بد أن نسلم بأن معطيات العلم ليست حقائق مطلقة فى أغلب الأحيان ، بل هى رؤى نسبية ، ومن حيث إن العقل الذى يدور حول إليه مرتتهن بقيود من البيئة ، والزمان ، والقدرات الذاتية ، والدلائل







ولهذا لا ترى اللجنة فيما كتبه المؤلف محاولة للتوفيق بين العلم والدين بقدر ما ترى فيه اجتهادا منه فى فهم النص القرآنى ، وهو اجتهاد لا توافق اللجنة المؤلف على بعض أجزائه ، حيث لا يكفى ما ساقه فى هذا التدليل ليقرر النتائج التى انتهى إليها ، وإذا كانت اللجنة قد حددت مهمتها - على ما سبق - بأنها بيان ما إذا كان المؤلف قد تجاوز الحد فى تأويلاته للنصوص القرآنية .. تجاوزا يخالف به ثوابت العقيدة أو يتناقض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فإن الذى تنتهى إليه اللجنة أن المؤلف لم يقع فى مثل تلك المخالفة .

وإن كان ذلك لا يعنى أن اللجنة تقرأ على كثير من التأويلات التى أول بها بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وعلى الأخص ما أشار إليه من أن آدم - عليه السلام - يمكن أن يكون قد خلق من أبوين ، وما انتهى إليه فى شأن العلاقة بين البشر والإنسان ، كما أنها لا تقرأ على بعض التعبيرات التى استخدمها فى سياق تدليله ، والتى ترى اللجنة أنها غير لائقة فى وصف المشيئة الإلهية فى أمر الخلق ..

وتود اللجنة فى ختام تقريرها أن تنبه إلى أمور ثلاثة :

أولاً : أن مجمع البحوث الإسلامية لا يحجر على اجتهاد المجتهدين أو فكر المفكرين ؛ إذ هو مجمع للبحث العلمى ، يشجع الاجتهاد ، ويحرص على ضبط مناهجه ، ويمارس ذلك الاجتهاد بما يقدمه من دراسات وأبحاث لكبار العلماء المتخصصين فى العلوم الإسلامية على اختلافها .

ثانياً : يؤمن المجمع بحاجة هذا الجيل من المسلمين إلى متابعة الاجتهاد وتقليب النظر فى الآفاق وفى الأنفس ، وإلى مواكبة التطورات

العلمية الهائلة التى غيرت أساليب معيشة الناس وأوضاعهم خلال القرن الذى توشك ( الإنسانية ) أن تودعه ، وذلك باجتهاد متصل وفقه متجدد ، وبصر دقيق بحاجات الناس التى صارت تتغير بسرعة هائلة ( بتغير الأمكنة والأزمنة والأحوال ) ، على أن يتم ذلك كله بطبيعة الحال من خلال منهج علمى أصولى دقيق ، لا يخالف فيه الباحث شيئاً من ثوابت العقيدة أو الشريعة ، ولا يميل - مهما كانت البواعث - عن قول الحق فى تجرد وصدق وشجاعة .

ثالثاً : يوصى المجمع الباحثين - دون حجر على حريتهم فى اختيار ما يبحثون أمره وما يكتبون فيه - أن يلاحظوا حاجة الأمة إلى علم العلماء واجتهاد المجتهدين لمواجهة المشاكل الكبرى التى تواجه المسلمين - أفراداً وجماعات وشعرباً - فى عصر سقوط الحواجز بين الشعوب ، وتوجه أبناء الحضارات المختلفة إلى التعارف والتواصل ، وفى كل ما ينعرض له الإسلام والمسلمون من سوء فهم بسوء معاملة فى كثير من أقطار الأرض ، وأن يتجنبوا - ما وسعهم - شغل عامة الناس بقضايا قد تكون لها - على أهميتها القليلة - آثار جانبية غير نافعة تشغل الناس عما ينبغى أن يتوجهوا إليه ، أو توقعهم فى حيرة وسوء فهم وجدال طويل فيما لا ينفعهم ..

كما يوصى المجمع الباحثين فى أمور العقيدة والشريعة - خصوصاً حين يقتضيهم البحث تناول آيات الكتاب الكريم بالتفسير أو التأويل - أن يتخيروا لأرائهم المصطلحات والتعبيرات التى تناسب مقام الوقوف

الخاشع بين يدي كتاب الله ، حتى لا يتوهم قارئه أو مستمع أن استخدام بعض المصطلحات الشائعة والجارية بين الناس ينطوي على مساس بقدسية القرآن الكريم ..

والله تعالى نسأل أن يعصمنا من الزلل ، وأن يعيننا على حمل أمانة العلم بحقها ، وهو - سبحانه - يقول الحق وهو يهدي السبيل ..

صادق مجلس مجمع البحوث الإسلامية على هذا التقرير بصيغته هذه في جلسته يوم الخميس ٢٢ من ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ الموافق ٥ من أغسطس ١٩٩٩ م التي عقدت برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

تحريرا في : - ١٤٢٠/٤/٢٥ هـ  
الامين العام  
لمجمع البحوث الإسلامية

( سامي محمد متولى الشعراوى )

## فهرس الكتاب

الصفحة

|     |                                  |
|-----|----------------------------------|
| ١٠٣ | الفصل الثامن :                   |
| ١٠٩ | الطريق إلى الجنة                 |
| ١١٥ | البرهان اللغوي                   |
| ١٢٠ | الفصل التاسع :                   |
| ١٢٥ | برهان التكرار - الإنسان مرة أخرى |
| ١٢٥ | آدم أبو الإنسان                  |
| ١٢٥ | الباب الثاني :                   |
| ١٢٧ | وقائع القصة                      |
| ١٢٧ | الفصل الأول :                    |
| ١٢٧ | البشر واللغة                     |
| ١٢٧ | الفصل الثاني :                   |
| ١٢٨ | الإنسان والملائكة                |
| ١٢٨ | علاقة الإنسان بالملائكة          |
| ١٢٨ | الفصل الثالث :                   |
| ١٤٣ | السجود للنبي الإنسان             |
| ١٤٩ | الفصل الرابع :                   |
| ١٤٩ | موقف إبليس من السجود             |
| ١٦٣ | الفصل الخامس :                   |
| ١٦٣ | بين إبليس وآدم في الجنة          |
| ١٧١ | الفصل السادس :                   |
| ١٧١ | اللغة والاسماء القديمة           |
| ١٧١ | الله - الملائكة - آدم            |
| ١٧١ | إبليس - الشيطان                  |
| ١٧١ | الله                             |
| ١٧٣ | الملائكة                         |

الصفحة

|    |                                 |
|----|---------------------------------|
| ٥  | مقدمة الطبعة الثانية            |
| ١٩ | مقدمة الطبعة الأولى             |
| ٢٥ | الباب الأول :                   |
| ٢٥ | القصة بين العقل والنقل          |
| ٢٧ | الفصل الأول :                   |
| ٢٧ | القصة والإسرائيليات             |
| ٣١ | الفصل الثاني :                  |
| ٤٩ | النظرة العلمية                  |
| ٤٩ | الإنسان بين العلم والقرآن       |
| ٥١ | الفصل الثالث :                  |
| ٥١ | نظرة القدماء إلى وجود الخليفة   |
| ٥٧ | الفصل الرابع :                  |
| ٥٧ | حديث القرآن                     |
| ٦٧ | الفصل الخامس :                  |
| ٦٧ | أولاً : إعلام الملائكة          |
| ٧٠ | ثانياً : خلق البشر من طين       |
| ٧٤ | استعمالات القدماء لكلمة ( بشر ) |
| ٧٧ | الفصل السادس :                  |
| ٨٣ | أولاً : حقيقة الطين             |
| ٨٣ | ثانياً : الخلق النفسى           |
| ٨٥ | الفصل السابع :                  |
| ٩٠ | البشر والإنسان                  |
| ٩٢ | القرآن المكي                    |
| ٩٨ | الإنسان يخرج من البشر           |
| ٩٨ | القرآن المدني                   |

الصفحة

|     |                                   |
|-----|-----------------------------------|
| ١٧٤ | آدم                               |
| ١٧٥ | إبليس                             |
| ١٧٧ | الشیطان                           |
| ١٨٠ | إبليس فی القرآن                   |
| ١٨٣ | الشیطان فی القرآن                 |
| ١٩١ | خاتمة : تأملات فی المسألة الخلقیة |
|     | فهرس الموضوعات                    |

رقم الإيداع

٢٢٠١/١٨٣٣٣

الترقيم الدولي

977 - 08 - 1031 - 2

مطابع أخبار اليوم ٦ أكتوبر

To:

**WWW.AL-MOSTAFA.COM**